

عبد السلام المسدي

فتنة الكلمات



مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس

إِلَى اللِّغَةِ الَّتِي سَمَّيْتُهَا لُغَتِي
وَكُنْتُ تَعْرِفُ أَنَّهَا لُغَتِي
وَقُلْتُ عَنْهَا إِنَّهَا لُغَتِي
وَهِيَ الَّتِي تَقُولُ الْيَوْمَ إِنَّهَا لُغَتِي

رِسَالَةٌ

أَيُّهَا اللَّغَةُ .

سَأَكُونُ رَفِيقًا بِكَ لِأَنِّي رَفِيقٌ بِنَفْسِي .

لَنْ أَفْشِيَ مِنْ أَسْرَارِكَ إِلَّا جَمِيلَ أَسْرَارِكَ .

لَنْ أَصِفَ أَزْدَوَاجَكَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَ مَجَازٍ .

سَأَقُولُ الْمَجَازَ .

وَسَأَسْكُتُ عَنْ الْحَقِيقَةِ .

فَفِي الْحَقِيقَةِ أَسْرَارٌ .

وَلَنْ أَفْتَحَ دِيْوَانَ الْأَسْرَارِ .

فَسِرِّكَ سِرِّي .

وَأَنَا الْمُصَابُ بِكَ يَوْمَ حَلِّ بِنَا وَ بَاءِ الْحَرْفِ . يَوْمَ التَّهَمَتْنَا

الْكَلِمَاتُ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ أَنْجَانَا - أَنَا وَأَنْتِ - مِنَ الطَّاعُونَ .

أَيُّهَا الْكَلِمَاتُ

جائني هاتفٌ من أقاصي الفجر فأنطقني بقولٍ وأوصاني أن
أقرئك إياه :

سأقصّ عليك قصّتي بما لم تعلميه من قصّتي . وسأقصّ عليك فيها
ما لم يعلمه قبلك عالم . وسأقضي ستّة أيام أقصّ فيها عليك صباح
مساء لا أنقطع عن القصّ إلا ساعة الليل . وبعدها سيكون كلامٌ .
وستكون نشأةٌ أخرى . وسيكون ما لم يكن .

فَاتِحَةٌ

في البدء كان الصَّمْتُ . وقبل الصمتِ الخلاءُ . فَلِمَ الكلامُ .
وكم من لفظة قَتَلَتْ . وكم من سكتة أنقَذَتْ . وأصحاب اللسان
يتكلمون فيندمون . وأصحاب العِيِّ يحلمون بليلة القدر عسى أن
يُوهِبُوا كلمات بينات .

و الأزهارُ تتناجى . والنملُ يتحدث فيُفشي الأسرار . والأبكمُ
حاسدٌ ومحسودٌ . يعرف أنه يُحِبُّ وَيَعشَقُ . ولا ندري كيف يحبُّ
ويعشَقُ . ويعرف أننا نتكلم . وهو على يقين أننا لا نعرف كيف نُحِبُّ
ولا كيف نَعشَقُ .

والعُشاقُ درجاتٌ . والعشوقُ مقاماتٌ . والوفاءُ مراتبٌ .
وأقربُ العاشقين إلى عرش السماء مَنْ عَشِقَ اللُّغَةَ . وأولاهم بجنة الخلد
من عَشِقَ حتى فَنِيَ وحلَّ في اللغة حُلولا . فاتحدتُ به . واتحدَ بها .

إِشَارَةٌ

أَيَّتْهَا اللُّغَةُ . أَيَا فُصْحَايَ . يَا شَاعِرْتِي .

عندما التقينا . ودقَّتْ أَجْرَاسُ السَّمَاءِ . بِأَنَّكَ قَدَرِي . كَانَ اللَّحَافُ
يَغْطِي أَشْعَارَكَ . وَالْبَرْقُ يُسْتُرُ وَجَنَاتِكَ . أَحْبَبْتُكَ كَمَا أَنْتَ . ثُمَّ
جِئْتَنِي إِلَى حَيْثُ أَنَا . وَسَأَلْتَنِي خَلْعَ النَّقَابِ . وَخَلَعْتَهُ . فَأَحْبَبْتُ عُرِّيَ
الْكَلِمَاتِ . وَانْكَشَفَ الْحُرُوفِ . وَفَصَاحَةُ الْحَرَكَاتِ . ثُمَّ غَابَتْ
الْأَسْبَابُ . وَانْقَطَعَ الْبَيَانُ . وَسَادَ الْغَمُوضُ . حَتَّى رَجَعْتَ تَبْحِثِينَ عَنْ
تَأْوِيلِ الْكَلَامِ . ارْتَفَعَ الْحِجَابُ . وَانْكَشَفَتِ الْأَشْعَارُ . وَتَعَرَّى الْجِيدُ .
وَبَانَ أَهْلَالُ وَضَّاحٍ مُشْرِقًا . وَقُلْتُ . أَيَا نَاطِقِي . حَلَّتْ بِالْكَلِمَاتِ
حَسَاسِيَّةٌ فَأَضَتْ بِهَا جِلْدَتِي . فَجَلَّوَتْ بَعْضَ الْحُرُوفِ . وَوَضَعْتُ عَلَيْهَا
حَرَكَاتَهَا . دَقَّ النَّذِيرُ فِي خَاطِرِي : هَلْ زَالَ الْبَرْقُ أَمْ ضَاقَ اللَّحَافُ .
نَظَرْتُ فِي عَيْنَيْكَ . فَأَحْسَسْتُ هِمْسَةً تَقُولُ : تَوَارَتْ الْحَقِيقَةُ . وَظَهَرَ
الْمَجَازُ . فَسَقَطَ الْقِنَاعُ .

حَسَبْتُكَ لُغَتِي . لِسَانِي وَجَنَانِي . فَمَا كُنْتُ إِلَّا لَهْجَتِي . وَلَا
يَعْرِفُ الضَّادَ غَيْرِي . كُلَّ اللُّغَاتِ سَوَاسِيَّةً .

بَيَانٌ

أَيَّتْهَا اللُّغَةُ : أَرَاكَ أَمَامِي نَصًّا . وَأَرَاكَ قَصِيدَةً . فَاتَذَكَّرَ الْحَسَنَاءَ
أَتَقَصَّى جَهَالَهَا . فَأَدْرَكُهُ وَأَدْرَكُهَا . وَلَا شَيْءَ يَفْرِقُ بَيْنَهَا فِي نَظَرِي وَبَيْنَ
جَهَالَهَا . وَاتَّأَمَّلْتُ شَأْنَكَ فَيَاخُذُنِي الضَّلَالُ وَوَجْهِي حَائِلٌ . مَنْ أَنْتَ وَفِيمَ
جَمَالِكَ .

النَّصُّ تَعَاقُبٌ وَاسْتِتْبَاعٌ . تَتَوَالَى أَجْزَاؤُهُ كَتَوَالِي دَقَّاتِ السَّاعَةِ عَلَى
الْجِدَارِ . وَ الْقَصِيدَةُ تَدْرَجُ وَاسْتِكْمَالٌ . يَنْتَشِي فِيهَا الْوَقْعُ عَلَى الْوَقْعِ
كَانْتِثَاءِ أَنْتِ الْقَلْبِ . وَ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ مَفَاصِلِهَا نَبْضٌ كَتَوَالِي خَفَقَاتِ
الدَّمِّ وَ هِيَ تَمُورُ بَيْنَ ضَخٍّ وَامْتِصَاصٍ .

إِذَا تَعَلَّقْتُ بِجَهَالِ الْكَائِنَاتِ رَأَيْتُ فِيهِ بَعْضًا مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِذَا تَأَمَّلْتُهُ
رَأَيْتُهُ صُورَةً كَامِلَةً مِمَّا فِي نَفْسِي . أَهْيِمُ بِالْكَائِنِ الْجَمِيلِ لِأَنِّي أَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى
نَفْسِي . فَأَهْيِمُ بِهِ عَلَى قَدَرِ هِيَامِي بِنَفْسِي .

أَمَّا أَنْتَ أَيَّتْهَا اللُّغَةُ فَأَجْزَاؤُكَ صَنِيعَتِي . أَرَاكَ مِنِّْي فَأَعْجَبُ مِمَّا
صَنَعْتَ بِكَ . عَجَبِي أَنِّي أَقْتَنَصُ أُسْرَارَكَ . وَأَنِّي بِأُسْرَارِكَ أَقْتَنَصُ النَّاسَ .
فَأَجْرُهُمْ إِلَى مَمْلَكَتِكَ . فَلَا أَبَالِي أَنْ نَسُوا أَنِّي الْمُسْتَضِيفُ لَهُمْ

عندك . وَأَسْعَدُ . أَنْ تَرْكُونِي وَهَامُوا بِكَ . كَذَا شَأْنِي مَعَكَ . وَعَلَى
غَيْرِ شَأْنِكَ شَأْنِي مَعَ الْحَسَنَاءِ لَا يُمِيتُ سُوءِدَاءَ غَيْرَتِي قَاتِلٌ . فَهَلْ أَنْتِ
خَادِعَتِي . أَمْ أَنَا السَّيِّدُ . أَمْ تُرَانِي كَمَلِّكَ اعْتَصَمْتُ بِهِ سَبِيَّةٌ فَأَجَارَهَا
صُبْحًا وَكَمْ يُمَسُّ إِلَّا وَهُوَ أَسِيرُهَا .

جَمَالُنَا إِذَا أَقْرَلْنَا النَّاسَ بِهِ . فَأَسْلَمُوا إِلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ . وَجَمَالُ اللُّغَةِ
مِنْ إِيْمَانِهِمْ أَنَّ لَنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا . وَأَنْ طَرِيقَنَا إِلَيْهِمْ فِيهِ طَرِيقُ اللُّغَةِ . بِهَا
نَنْفِذُ إِلَى خَلَجَاتِ قُلُوبِهِمْ . وَبِهَا نَسْتَوِلِي عَلَى مَرَائِنِ عَقُولِهِمْ . وَبِهَا
نَرْوَحُ عَلَيْهِمْ وَنَغْدُو .

جَمَالُ الْكَائِنَاتِ كُلِّ إِذَا جَزَّأَتْهُ أَفْسَدَتْ عَلَى نَفْسِكَ مَا كُنْتَ
مَطْمَئِنًّا إِلَيْهِ . وَعَكَّرَتْ صَفْوَةَ اللَّذَّةِ الَّتِي كُنْتَ تَرْتَشِفُ . وَجَمَالُ اللُّغَةِ
كَلَّمَا جُسْتُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ أَزْدَدْتُ بِالْكَلِّ افْتِتَانًا . وَازْدَدْتُ لِلصُّورَةِ التَّامَةِ
إِجْلَالًا .

أَيْتِهَا اللُّغَةُ :

هَلْ تَأْذَنِينَ بِإِفْشَاءِ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِكَ .

يَوْمَا رَكَبْتُ بِكَ قَوْلًا . فَانْسَاقَ لِي الطَّيْشُ بِالْأَلْفَاظِ . فَلَمْ أَدْرِ مَا
كُنْتُ أَعْنِيهِ . وَأَمَعَنْتُ . فَتَزَيَّنَتْ صُورَةٌ . لَمْ أَفْهَمْ لَهَا مَعْنَى . رَدَدْتُ
الْقَوْلَ فَاسْتَطْبَعْتُهُ وَعَاوَدْتُ . فَاثْنَالِ فَيُضُّ مِنَ الدَّلَالَاتِ . وَأَشَعْتُ
فَقَبِّلُوا . وَاسْتَراحوا . ثُمَّ سَلَكَوا فِي النَّشْوَةِ كُلِّ مَسْلَكٍ . فَأَغْرَانِي

عَبَثُ الْوَلِيدِ . فَظَلَّتْ مَعِيَ زَمَنًا . وَأَرَدْتُ تَوْبَةً . وَاسْتَغْفَرْتُ
لَدَيْكَ . وَهَمَمْتُ أَنْ أَعْلِنَ الذَّنْبَ . وَأَنْ أَصْعَدَ عَلَى مِنْبَرِ الاعْتِرَافِ .
أَطَهَّرُ النَّفْسَ مِنْ أَعْلَاقِهَا . وَأَغْسِلُ بِالْبُوحِ إِثْمًا ظَلَمْتُكَ بِهِ . وَأَنَا بَيْنَ
عِزِّمِ وَإِنْتِثَاءِ سَمْعَتِكَ وَسَمِعْتُ مَنْ حَوْلَكَ تُهَاتِفِينَ ، وَيَهَاتِفُونَ :
لَيْسَ مِنْ عِبَثٍ مَا صَنَعْتَ . إِنَّمَا الْعِبَثُ مَا سَتَصْنَعُ . فَلَا تُكَايِرُ .
فَلَقَدْ نَطَقْتُ عَلَى لِسَانِكَ اللُّغَةَ . أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ وَاحِدًا مِنْ جُنُودِهَا . وَهُمْ
نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ قَالُوا آمَنَّا . فَمَا هُمْ بِمُلْحِدِينَ . فَلَا تَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ طَيْفِ
أَلَمِّكَ .

وَمِنْ يَوْمِهَا . تَزَيَّنْتُ لِي فِتْنَةُ الْكَلِمَاتِ .

خطاب

إليك أيا سيدي أنا أتحدثُ . إليك أزفّ اللفظَ عريسا مُخَضَّبًا .
إليك أنا أتحدثُ . حاضراً . أتحدثُ . غائبًا . أتحدثُ . الكونُ ملءُ
يَدَي . أتحدثُ . أوقفتُ يوماً ناظري . وأمسكتُ عن الحديثِ . وأعلنتُ
عن حفلاتي . ومراسمي . أستقبلُ الناسَ لولائمي . وأشعلتُ
الشموعَ . وأوقدتُ العطورَ . ورأيتُني أتحدثُ . إليك أيا سيدي أنا
أتحدثُ . حاضراً أتحدثُ . غائباً أتحدثُ . أفترشُ الزَّرَّابِي . والموائدَ .
وأرُشُ رُذَّاذَ الفوائِحِ . أتحدثُ . وأدُقُّ على الجرسِ القويِّ . مُؤَذِّنًا . أنُ
الضيوفَ . كالقادمينَ . يتزيّنونَ . ويُفاتِحونَ . مُهلِّلينَ . يباركونَ .
جاءوا إلى حفلةِ الإقبالِ . جاءوا وفي يَدِهِمُ . كَهْدِيَّةُ الأعيادِ .
فيضُ من الأزهارِ . وتساءلوا . أينَ الأُنيسُ . وأينَ لَحْنُ
غنائنا . وتقدّمتُ الحُطَي . متهادياً . أتحدثُ . وَيَدَي تُصافِحُ . والأذنُ
تَهْمِسُ . والشِّفاهُ على الصَّدَى . واللّحْنُ سكرانٌ يُغْنِي . وأنا الذي .
إليك . أيا سيدي . أتحدثُ . والقادمونَ تكاثروا . والشاهدونَ على
الأرائِكِ . أتحدثُ . وطاف بالجمعِ السكونُ . وخرج النّادلُ . فَفَكَكْتُ

من يده الأطباق . و قلت . أنا أتقدم . ورأيتني . أتحدث . فوزعت
العقود . وأسدت الفواكه . وصحت بالواقفين . دونكم أتحدث .
فتخالطوا . وتهامسوا . وقال قائلهم . هي ليلته التي . عن فجرها يتحدث .
عن نورها . يتحدث . هادي ليلته التي . نحن الشهود . وعقدها
يتواتر . لا تنثروه . وجمانه المصقول . كمرجان بحر . لؤلؤه
المحار . وفيضه لا ينضب . فتناغموا . وتهللوا . وسمعتني أتحدث .
حتى إذا طاف بالألق النهى . جاء الملاك . وانتشر البياض . وسطح
النور . ووجدتني أتحدث . وامتدت الأيدي . وتهاطلت الأكف . وقلت .
أنا أتحدث . إليك أيا سيدي أنا أتحدث . وأسلمت النفوس رحيقها .
وطاف بالكون الخلود . وتشققت فوق السماء . واصعدت نحو
المعارج . في ليلتي أتحدث ووجدتني . كمن هفا . ولطيفه . يتحدث .
ووجدتني . بين الخلائل . أشرق الوفاء . وأنسل . والقلب
واجف ووجدتني . أتذكر . طول الخطى . عرض الفؤاد . إليك . أيا
سيدي . أتحدث .

صَوْتٌ

هل تَذْكُرُ يا هذا . ما أنتَ إلا يَتِيمُ العقل . شقيِّ بِحَسِّهِ . هَلَاءُ
دَكَّرْتَ يَوْمَ كَانَ أَوَّلُ مَوَاعِيدِ الْآنَسِ . سَاعَةَ طَفَحَ الْبَرِيقُ فِي هَدْوِ
السَّاكِنِينَ . فَقَالَتْ . أَلَا تَرَانَا قَدْ سَوَّيْنَا لَأَنْفُسِنَا صُورًا تُفَارِقُ الْحَسَّ
وَتَتَوَسَّلُ بِالسَّمَاءِ . أَلَا تَذَكِّرُ كَيْفَ اعْتَصَرَ كَلَامُهَا فِي نَفْسِكَ رَحِيقًا .
وَانْقَبَضَ قَلْبُكَ انْقِبَاضَةً . وَلَمْ تُخَفِ عَلَيْهَا شَيْئًا . قُلْتَ . الْوَمِضَةُ حَارِقَةٌ .
وَالْحَسُّ شَقَافٌ . وَ النَّبَاهَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَكَيْفَ جَاءَتْكَ وَلَمْ تَجْنِي . أَمْ
اسْتَرَقْتَ سَمْعًا . وَقَبِضْتَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرٍ .

وما زال الكلامُ بك . وما زلتَ به . ولم ينفكَّ الشكُّ يرتادُك . حتى
كَانَ الَّذِي كَانَ . فِي آخِرِ مَا كَانَ . فَأَيَقَنْتَ أَنَّهَا قَدْ سَوَّيَتْ رُوحًا مِنْ غَيْرِ
أَرْوَاحِ الْكَائِنِينَ .

أَيَّتَهَا اللَّغَةُ . مِنْكَ الشَّعْرُ . وَأَنَا صَائِغُكَ .
فَلْنَكْتُبْ .

أَيَّتَهَا اللَّغَةُ . لَا أَقْدِرُ أَنْ أَرَاكَ عَلَى غَيْرِ مَا كُنْتُ أَرَاكَ عَلَيْهِ . لَا
أَقْدِرُ . لَا أَقْدِرُ .

و من أقاصي المفازات . حيث أذن للغة أن تتخلّق في تجاعيد التربة
الصفراء جاءني رسولها . فتّمثّل لي جنّة تقول الشعر . وتلهمني أن
أقول الشعر . فتقاضينا . وتلونا تسايح اللفظ . ولم تنفك تُراودني على
قوله . وأنا كالحرّون . وكان الإذعان أشقّ عليّ من قلع الأضراس
الحية . حتّى ارتاض بي الألم . فنمت .

ثم تمايلتُ ثملاً على السرير . و الفضاء من حولي فسيحٌ بظلمة
أحبّها . تمايلتُ . وألقيتُ بذراعي . وكانت مسافةٌ
تفصلني . فمددتُ . وتحسّستُ . واستنشقتُ أعلى الكتف . وكان بلا
غطاء فغطيتُهُ . وقفلتُ نائماً . ودبّ نداءٌ . فكتمتُ صوته . وتسلّلتُ إلى
فضاء الظلمة . تاركاً ما تركتُ . الرّبي منتفضة . واللّون ساطعٌ .
السّنم على الرّبي يتشامخ زهوا بحمرة تكاد تتكلّم . رمالٌ ذهبية
تتجاعد . ولا تفرّ على موج . مدّها إلى المضاب . وارتدادها إلى النهر
يفور . وبينهما رحلةٌ تشدّ الأنفاس . كأنفاس غوّاصٍ إلى أعماق
اللالء إذا أطال الصبر تنامى محارهُ . واشتدت دانتُهُ .
وقالت . دُونِي مَشَارِفُ الْغَرَقِ .

و تحرّك النائم . حالمًا . انفضّت سدائلُهُ . يحرك الخمايل من
على الأكتاف . والجيد مكانه يقفز . ملأعبا من يرقب . وتسلكت
أصابعهُ وهي نائمةٌ إلى مفرّق الجبين . وسرّحت الأشعار . ثم قدّقت بها

على البساط . و ابتسمت . فأيقظها ابتسامها . يقظة استدارت بها الكتف .
وارتخت الأطراف . كأنها الشمس بازغة . والجسدُ الجَنِّيُّ كالعاري .
يَسْتَقِي شعاعها على رملٍ فضِّي . ثم اعتدلت الهضابُ . وأوماتُ
تلالها . وانفسح الموجُ . واقتربت المسافاتُ . واستوت الأطرافُ
ذات اليمين تتكاسل في رفق يتأذى به فاقد الصبر . وغمرت الجنيّة
وكأنها اللغة . ومدّت . فظننتها قادمة . فعرجت على الجانب
الأيمن . فحاضتُها . ومدّتُ إطلالةً . وقاربت أنفاسي ساطع
الأنوار . فشمنت وهجاً خلّته الكبريت يصاعد مدفوعاً بشذا
الإصباح .

عدتُ أرافقُ . فانتدى ما اشتدّ . ولان اللحظُ حتى رَقَّ فارنخي
الزّهو . وهتف المَيلُ . و خلّتُ أني أقول الشعرَ . وراحت أصابعي
ترسّم الحروفَ . تُمرّرُ الأناملَ على ما انكشف من الكلمات . فكأنها بكل
لمسة تنفّوه . وبكل رعدة تنبّسُ بأوتار صوتٍ بليغٍ يُفصح بلا
مجاز .

وزاغت اللغة . وأنشد النهرُ خريراً الألحان . تسمع الصوت ولا
تراها .

و تمايل القدُّ على البساط تقول إنه يمشي الخطى ولا
يتحرك .

و ظننتُ أنَّ ما باللغة بي .
فأُضرمْتُ المِشيمَ . وفاحِ لِهَيْبُهُ .
وقلتُ . صَنَعْتُهَا .
فانْتَفَضَتِ الكَلِمَاتُ . وَارْتَدَّتْ . وخرجتُ هاربةً . ثم انفلتتُ
كأنَّها السَّهْمُ وهي تقولُ إنِّي أنارُ .
فلم أجِبْ .
ولكني أَقَفْتُ .
فلم أجِدْ شِعْرًا .

نَفَقَم

أيتها الفصحى .

مَنْ شَقَّ هَضَابَكَ . وَتَسَلَّقَ جِبَالَكَ .

مِنْ أَلَانَ صَخْرِكَ . وَتَقَفَّ أَشْجَارِكَ .

مِنْ فَجَّرَ عَيْونَكَ . وَأَسَالَ أَنْهَارَكَ . وَسَوَّى بِهِجَتَكَ .

مِنْ أَغْرَاكَ بِنَفْسِكَ فَأَخَذَكَ التَّيَهُ حَتَّى عُدْتَ إِلَيْهِ تَشْتَكِينَ لِحَنِّ

العابثين .

قالت :

ليس في الكون مخلوقٌ إذا ادَّخَرْتُهُ دَوَى . وإذا أَخَذْتَ مِنْهُ زَكَا . وإذا
مَضَى عَلَيْهِ الْحَدَثَانِ نَمَا . وإذا أَفْنَيْتَهُ انْبَعَثَ .

إِلَّا أَنَا .

أَنَا اللَّغَةُ .

قال . فلن تَخْرُجِي وَإِنْ قَضَيْتِ عَمْرًا وَعَمْرًا عَنْ فَلَكَي . يَا مَنْ
دَخَلَتْ حِرَّةً إِلَى فَلَكَي . طَائِعَةً سَائِغَةً لَنْ تَخْرُجِي .

قالت :

إِلَيْكَ أَسَلَمْتُ نَفْسِي . يَا مَنْ أَخْصَبَّتَنِي بِأَجْنَةِ الْمَعَانِي . يَا مَنْ

حَمَلْتَنِي مِنَ الدَّلَالَاتِ مَا لَمْ أَحْمِلْ .
أَيْتَهَا الضَّادُ .

بضفائرِ حَرْفِكَ تُكَابِرِينَ . وبنشائرِ لَفْظِكَ تَتَأَبَّهِينَ . أخال أنني
أصْنَعُكَ . فَتَلْقَيْنَ حَرُونَا . وعلَى شَفَاهُكَ ابْتِسَامَةٌ مِنْ بَنَاتِ حَوَاءَ .
أَخَذَتْهَا تُحَاكِينَ بِهَا الْآدَمِيِّينَ . وَأَنْتِ الرُّوحُ لَمْ تَرْكَبِي جَسَدًا . تَغْوِينِي
فَأَمْسِكْ بِكَ . أَعْرُكَ عَجِينَتَكَ . حَتَّى تَلِينَ . أَرِيدُ الْأَنَامِلَ أَنْ تَمُرَّ
مَرًّا خَفِيفًا . فَإِذَا هِيَ تَجُوسُ غَائِرَةً مِنْ لَيْنِ صَلْصَالِكَ .
أَصْنَعُ الْمَعْنَى . وَأَرْسِلُ بِهِ . وَكُلِّي خِيَلًا بِمَا صَنَعْتَ فِيرْتَدُّ إِلَيَّ .
وَقَدْ ابْتَسَمَ لَهُ الْمُتَلَقِّفُونَ . وَعَمَزُوا بِي . وَتَهَامَسُوا : لَمْ يَدْرُ أَنَّهُ الْمَصْنُوعُ .
وَأَنَّ الْمَعْنَى صَانِعُهُ . فَأَكْتَوِي بِمَكْرِهِمْ . وَأَتَأَوُّهُ بِحَالِي مَعَكَ .
وَالَّذِينَ أَحْعَجَزْتَهُمْ . وَعَقَلْتَ لِسَانَهُمْ . كَبَعِيرٍ ثَنَوْا ذِرَاعَهُ .
وَكُفَّارِسِ النَّوْمِ يَرُومُ رُكْضًا . هَاهُمْ تَشَرَّدُوا عَنْكَ . فَالْتَفُّوا يِرَاوِدُونِي
عَلَيْكَ .

هَاهُمْ يَقُولُونَ .

مَفْتُونٌ بِضَادِهِ . فَاتِنٌ .

هَاهُمْ يُنْشِدُونَ .

أَيْتَهَا الضَّادُ .

الرُّوحُ أَنْتِ وَأَنْتِ الرُّوحُ فَاسْتَمِعِي .

الرَّوْحَ أَنْتَ وَأَنْتَ الرُّوحَ فَانْهَمِلِي .
هُونِي عَلَى سَائِلِكِ . وَأَلْهِمِيهِ ظَنًّا يَشُدُّ بِهِ أَوْدَتَهُ . وَسَرِّحِي لَهُ
الشَّكَاثِمَ . وَاتْرُكِيهِ عَلَى بَعْضٍ وَهَمِهِ . أَنَّهُ يُصْنَعُ فِيكَ صُنْعًا . وَيُرَكَّبُ
بِكَ أَصْبَاغًا . ثُمَّ يَسْوِي بِكَ تَمْثَالًا .
فَإِذَا انْتَهَى إِلَى الْمِيعَادِ . فَفَاتِحِيهِ بِلُطْفٍ . وَصَوِّري لَهُ مِرَاةَ الظِّلِّ .
وَلَا تَخَافِي عَلَيْهِ . فَبَعْضُ الْجَمَالِ أَقْسَى مِنْ بَعْضٍ .
لَنْ يَقْذِفَكَ بِرُصْفٍ . وَلَنْ يَنَالَكَ مِنْهُ سُوءٌ . فَالْكَائِنُ الْجَسَدُ
أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يُلَوِّثَ بِنُفَاتِهِ شُهَدَاءَ مُصَفَّى . فِيهِ سِحْرٌ . وَفِيهِ الْحِجَى .
فِيهِ الْوَجَعُ . وَفِيهِ الشِّقَاءُ .

عَلَامَةٌ

أيتها العريّةُ.

لأنت لذة تُغري . للشعرُ حرّيةٌ لا تُبالي . والعزّةُ مديّةٌ
تستأصلُ الأورامَ . أقولُ فأرتوي . وأصمتُ فتختال نفسي . يرى
الجائعُ شهيةَ المطاهي . فيُمسِكُ . وتمتدُّ الكأسُ الزُّلالُ للظُّمانِ
وهو يتلوّى كالمجمُورِ . فيلَعقُ الرّيْقَ متبَلِّلاً باللفظِ .

ويتصلّبُ التَّوقُ . مُحَاتِلًا . ثم يغضبُ . كالحليم الذي أفقدوه
الصبرَ فلم يَبْغِ احتسابًا . وكعاشقٍ تعلقوا به . فالآنَ عَنَّانَ
النَّفْسِ . وأهدى شكائِمَها . ثم فعل الدهرُ فعلَهُ . فأَنسَاهم
شأنَهُ وما فَعَلَ فَأَقْسَمَ متوعداً . ولم يدِرْ أنه يكرّرُ السخاءَ .

أنا الكلامُ.

أنا اللسانُ .

فوق كلِّ هَوَى كبريائي .

فوق كلِّ الناطقين شُمُوعي .

خُلِقْتُ أَنْوْفًا .

سَأَبْقَى .

لَا أَطْرُقُ الْأَلْفَاظَ مُسْتَجِدًّا .

لَا أَلْثَمُ الْأَرْضَ بِأَكْيَا عِزِّ الْحَبِيبِ .

أَدُوسُ عَلَى الْحَسِّ الْهَفِيفِ .

أَقْبِضُ الْأَنْفَاسَ لِقَلْبٍ وَالْه .

وَأَقُولُ فِي صَمْتٍ وَفِي وَجَعٍ .

لَا خَيْرَ فِي شَعْرِ سَقَانِي الْجَوَى .

وَأَضْعَفُ نَفْسِي فَأَذَلِّنِي .

لَا خَيْرَ فِي لَفْظٍ يُجَرِّدُنِي شَمُوحِي وَكَبْرِيَائِي .

تَصْغُرُ الدُّنْيَا وَتَعْلُو لَغْتِي .

يَنْحِنِي الشَّعْرُ وَتَشْمُخُ عِزِّي .

لَا شَعْرَ عِنْدِي إِلَّا مَتَى يَسَابِقُنِي اللَّفْظُ فِي طَاعَتِي .

وَجَاءَتِ اللَّغَةُ . تَمْشِي الْهُوَيْنَا . بِالْفَاظِهَا . بِكُلِّ الْكَلِمَاتِ .

جَاءَتْ . وَفِي عِزِّ كِبَرِهَا . وَجِبَالُ التِّيهِ شَاهِقَةٌ . وَهِيَ نَافِرَةٌ .

سَكْرَى . مَكَابِرَةٌ . أَقْسَمْتُ عَلَيْهَا . وَأَضْمَرْتُ يَمِينِي . لَتَعْرِفِينَ مَعِي .

كَرَّةٌ أُخْرَى . حَرَقَةُ الشَّعْرِ وَأَوْجَاعُ الْكَلَامِ . وَلَتَلْتَمِينَ مَدَادَ اللَّفْظِ

سَاجِيَةً . وَلَتَطْلُبِينَ رَحْمَةَ الْأَرْضِ وَهِيَ ظَامِئَةٌ . وَلَتَهْمِسِينَ . بِكُلِّ

الجوارح . قائلَة . لاهُتَة . اسقِنِي ربَّ الكون . واغفر زلَّتي في الشعر . ما
كان حقِّي أن أتِيه . ما كان حقِّي أن أجُور .
كُلُّ مَا تَأْتِيهِ مُطَاعٌ . مقدَّسٌ . أقْبَلُ الأطراف . وأنحني .
وأقول في غير تَمْنَعٍ . ماشئت . رُوحِي إِلَيْكَ . وهبْهَا يَا آسِرِي .
أيتها اللُّغَةُ .

أراك تراوديني . وأمرُك نافذٌ .
بنفسِكَ لَن تُغْرِينِي .
لَن أقول بكِ شعراً .
لَن أَمَكِّنَكَ مِن نَفْسِي .
تَمَرِّدِي ما شاءَ لَكَ الْإِبَاءُ .
راوغيني كيفما بدا .
ثم عُدِّي فأُسَلِّمِي .
فأنتِ صَنِيعَتِي .

نص

زارني يوما شيطانُ الشعر . وحادثني . ثم رَوَى عني مفتريا . قال .
صادفني على غير ارتقاب رسولٌ . دَفَعْتُ به حرةً . كانت
تقول . كلَّ الرجالِ قَفَرٌ . وبعضهم قَفَرٌ وَجَدْبٌ .

فَأَسْرَليَ بها أَسْرًا . وانتَظَر . فقلتُ له . حُبُّ الكلامِ من الهوى .
والهوى يُورِثُ الغوايةَ . قال . وما حُبُّ الكلامِ . قلتُ . إذا تَحَدَّثَ
والناسَ حولَكَ . بعضهم يَسمعُ . والآخَرُ كأنها يَسمعُ . وقليلٌ منهم مَنْ
يُصْغِي إليك . قال . أفليس حُبُّ الكلامِ من حُبِّ العبادِ . قلتُ . من
أَحَبَّ الكلامَ أَحَبَّ نَفْسَهُ . و من أَحَبَّ الناسَ أَصْغَى إليهم .

قال . وهل تتبدلُ الأحوالُ .

قلتُ . إي وربي . إذا خاطبتَ أُنيسَكَ وبينكَ وبينه المسافاتُ .
فالكلامُ إليه أرواحٌ مجسَّدةٌ . والألفاظُ على الشِّفاهِ وعلى الخطوطِ
كائناتٌ تنفَّسُ . وترتدي الأثوابَ . وتردُّ عليك الصِّدى . تقولُها .
وتَلْمِسُها . ثم تراودُها . فتضمُّها . فتُعَانِقُكَ . ثم يَلَدُّكَ إِثَارَتُها .
فتثورُ . وتُمسِكُ بِكَ . فتحتضنُها . وتفارقُ بها الأرضَ . وترفعها بيديك

إلى فضاء السماء . ثم تستقبلها . وقد ضحكتُ إليك . فتَضَغَطُ بِصَدْرِكَ
ضَغْطَةً تُطْلِقُ أَزَّةً وَ لَا تُفْصِحُ بِالْأَنِينِ . حَتَّى تَصِيحَ حُرُوفُهَا فَرَحًا .
وهي تتألم . ومازلتِ بالكلماتِ . وهي بك . حتى تَحْسَبَ أَنَّهَا غَيْرُ
الكلماتِ قد حضر إليك . كما تحضر الأرواحُ . فلا تُسَلِّمُ جَفَوْنَكَ إِلَى
مَنَامِ اللَّيْلِ إِلَّا وَهِيَ فِي أَحْضَانِكَ .
قال .

فسمعتُ الحرَّةَ بعدها تُرَدِّدُ . و تقول . كلَّ الرجالِ كأشباهِ الرِّجالِ .
إِلَّا وَاحِدًا . ولم تزد شيئًا .
ثم هَجَرَتْ قَوْمَهَا . وَ صَبَرَتْ عَلَى الْأَذَى . فَطَلَبُوهَا . فَأَرْسَلَتْ
إِلَيْهِمْ :

إِذَا طَرَأَ الطَّارِئُ . وَ ارْتَجَّتْ الْقَوَاعِدُ . فَانْدَكَّتْ أَبْوَابُ النَّفْسِ . وَ إِذَا
مَاجَتْ الْأَرْكَانُ . وَ تَدَاعَتْ الْجَوَانِحُ . فَتَمَاسَيْتْ أَعْمَدَةُ الْيَقِينِ . وَ إِذَا
تَكَاثَفَتْ سَحَابُ الشُّكِّ . وَ تَلَبَّدَتْ الْغُيُومُ . فَدَوَّتِ الْأَعَاصِيرُ . حَتَّى
لَكَأَنَّ الدُّنْيَا غَيْرُ الدُّنْيَا . وَ إِذَا النَّفْسُ أَنْكَرَتْ نَفْسَهَا . وَ الْجُحُودُ عَلَى
الْأَبْوَابِ . وَ الْمَقْصَلُ يَهْوِي عَلَى مَا مَضَى قَطْعًا وَ بَتْرًا . وَ التَّارِيخُ سَلَّةٌ
كَبْرَى . وَ الْيَدُ كَالْأَظَافِرِ . تَسْتَلُّ وَ تَنْهَشُ . تَحْفَرُ فِي الذَّاتِ . وَ تَغُوصُ
عَلَى الْأَغْوَارِ فَتُخْرِجُ مَا تُخْرِجُ . وَ تُلْقِي مَا تُلْقِي . وَ تُعَادُ السَّاعَةُ عَلَى
أَوَّلِهَا . يَوْمَهَا قَوْلِي . أَنَا الْفَاعِلَةُ . يَوْمَهَا قَوْلِي . أَنَا السَّاعَةُ . يَوْمَهَا قَوْلِي .

إني به . يومها شُدِّي على المِعْصَمِ . وعلى المسابح . واعْقِدِي أَلْفَا
وَأَلْفَا . قَطَرَاتٍ مِنَ الْوَجْدِ . كحَبَّاتٍ مِنَ اللَّطْفِ . يومها قولي . ثم
قولي . إني أنا .

تَرْخِيمٌ

قال ابن الحسن .

«يا عبدُ : الحروفُ كُلُّها مَرْضَى إِلَّا الألفَ . أما تَرَى : كلُّ حرفٍ مائلٌ . أما تَرى الألفَ قائمًا غيرَ مائلٍ . إنها المرضُ المائلُ . وإنما الميلُ للِسَقَامِ فَلَا تَمِلُ .»
قالت الفصحى .

في الدلالةُ أُسْبَحُ . وبالإيحاءُ أَفْتَنُ . وعروسُ اللفظِ شاعرة .
جاءت من الصحراءِ . جاءت وفي يدها . قنديلٌ من الأصواتِ . بحريَّة .
جَبَلِيَّة . أفرغتُ شِبَاكَهَا . واضْطَفَيْتُ فصوصَهَا . والتذذْتُ بصفوها .
وَسَبَّحْتُ في الموجِ . غائصا . وجريتُ في الصحراءِ معانقا . لثمتُ شِفَاهَ
الرملِ حتى أذَابَنِي . حُلُوَ المَذَاقِ . عَارِيَ الزَّبَدِ . وأسَدَلْتُ مائلَ
الشعرِ . وقلتُ للتي سَبَّحَتْ . فوقَ اللَّجَيْنِ . إلى الماءِ . فعنده خَبَرِي .
ألوذُ وأطفو . كقائلِ الشعرِ . في غَزَلٍ . والأنفاسُ شاديةٌ . أبَحَرْتُ . إلى
الأعماقِ . أهفو . كَرَطَبِ النسيمِ . غاديا في الجوّ . خَفَّتْ مُهْجَتِي . فالمياهُ
قصائدي . والرمالُ . والأمواجُ . كَنَسِيمِ لفظٍ . ساحرٍ . والشواطىءُ .

كلُّها . تجري . رايأتها الشعرُ . وألحائها نغمٌ . ورحيقُ صفوي .
والزَّمنُ . يالفظي . ويا زمني .
رَدَّ ابن الحسن .

قال

«يا عبدُ لا إِذنَ لكَ ثمَّ لا إِذنَ لكَ ثمَّ سبعونَ مرَّةً لا إِذنَ لكَ
أنَّ تصِفَ تراني ولا كيفَ تدخلُ إلى خزانتي ولا كيفَ تأخذُ منها
خواتمي بقدرتي ولا كيفَ تقتبسُ من الحروفِ حرفاً بعزَّةٍ جبروتي» .
قال الراوي .

هو ذا الخاطرُ . من أعالي البرجِ . والكونُ أخضرُ . والأشعةُ بازغةٌ .
والخالِدُ . تجري مياهُهُ . والصَّخْنُ يدورُ . وقلبُ البرجِ ثابتٌ يرسو .
ونحنُ طَوَافٌ . وكذا الدنيا . بنا . تمورُ . والخطرُ سائحٌ . واختصرنا
الزَّمنَ . من على البرحِ . وقلنا قصَّةَ الألمِ . وحكَّتنا أساريِرُ البلى .
وصفَّا الخِلُّ . وسبقَ الدَّهرُ من جيده . وقيل للكونِ . حَلَقُ بنا . وكانَ
الذي . قد أفصحَ بإعجازه . وجهُ . كالصامتِ . ولحظُ . كالتائه .
وبريقُ . خُذُوا الدنيا وهاتوهُ لي .

أجاب :

«وقال لي تعرفُ الأسماءَ وأنتَ في بَشَرِيَّتِكَ . يأكلُ الخَبَلُ
عَقْلَكَ . وقال لي ليحذرْ مَنْ عَرَفَ أسمائي من خَبَلٍ عَقْلُهُ ثمَّ ليحذرْ

مَنْ عَرَفَ أَسْمَائِي مِنْ خَبَلٍ قَلْبِهِ .

قالت :

عيدٌ من الأعياد جاء مُصَافِحًا . فالمواليدُ شَتَّى . والأعيادُ بلا
حساب . وعيد اللفظ هو العيدُ . وهو بمفرده عيد الأعياد . مَوْلِدُهُ
الذِّكْرَى . والأعمارُ خالدةٌ . أنا اللغةُ . أوقفتُ عَدَادَ الزَّمنِ . أوقفتُ
عقاربِي . كُبْرَى وصُغْرَى . أوقفتُها . عطَّلتُها . ساعةَ الزَّمنِ . على
الجدرانِ . وفي المعاصمِ . وعلى التَّلَالِ . كلُّها . ساعةُ الزَّمنِ . ساعةُ
التَّاريخِ . تجمَّدتُ . في شرايينِها . دماءُ الزَّمنِ . أهدرتُها . قلتُ لِلأيَّامِ .
كما قلتُ لِلأعمارِ . هُبُّوا . وتجمَّعوا . هو البدءُ والمنتهى . وبراكينُ
النُّهى . واليومَ . أيا لغتي . أيا ضادي وجناني . أهديك ما أهديك .
أهديك خاتماً . بِالْأَلْمَاسِ مُشْرِقَةً . وَضَاءَةً . تُحَوِّلُ الأبصارَ عن
وجنتيك . فَأَنَا أَغار على وجنتيك . وَأَنَا أَخاف الناظرينَ . الفاتحينَ أفواهَ
العيونِ . والسابحينَ . كالغرقى . في لُجِّ الجِمالِ . جِمالِكَ القهَّارِ وقد
رَوَّضَنِي . حتى غزاني . فأحبَّته . واستطبتُ هزيمتي . اليومَ أهديك
قلائدي . أهديك . أسواري ومسالكِي . أهديك خريطةً . مرسومةً .
تَسِيحِينَ بها في الأَزَقَّةِ . في الأدغالِ . وفي الزوايا ومكامني . تتجولَّين
والمعطفُ في اليَدِ . والشتاءُ بعزَّة . تتجولَّين . والشمسُ بازغةٌ .
والغمامُ مظللٌ . في القيظِ . وفي العواصفِ . في الحرِّ وفي الشتاءِ . وفي

كل زمنٍ . أهديكِ خريطتي . ومراكبي . تطوفين . في بحر الهوى . وفي
العالم المسحور . وبين شوارعِي . اليوم أهديكِ أغنيةً بلحنٍ خالدٍ .
بوهجِ الشوق . بكبريتِ الوجدِ . أوقدِ الشموعَ .
أهديكِ .

ما أهديكِ

أهديكِ اعترافي .

قال .

« يا عبدُ

الحرفُ تُناري .

الحرفُ قُدري .

الحرفُ حتمي من أمري .

الحرفُ خزانة سري .

يا عبدُ .

لا تدخلُ إلى الحرفِ إلا .

ونظري في قلبك .

ونوري على وجهك .

واسمي .

الذي .

ينفسح له قلبك .
على لسانك (. . .)
فإذا أرسلتُكَ إلى الحروف .
فلتقتبس .
حرفاً من حرف .
كما تَقْتَبِسُ .
ناراً من نار .
أقولُ لَكَ .
أُخْرِجُ أَلِفاً من بَاءٍ .
أُخْرِجُ بَاءً من بَاءٍ .
أُخْرِجُ أَلِفاً من أَلِفٍ .
قال .

إني زائرٌ وأهوى . سائحٌ والوجدُ معي . راخِلٌ وَحَقِيبَتِي .
شوقٌ وحبٌ وأحلامٌ . شاعرٌ . وأنثُرُ الدرَّ على الكلمات .
أيتها الكلمات .
أيتها الكلمات .
هل تسمعين .
هل تسمعين .

أنا ما تعلّمتُ أنصافَ الحلولِ . خُذِيهَا أَوْ دَعِيهَا . لا شيء بعد اليومِ
أنكرهُ . ولا أبِي على الأشجانِ ينكسرُ . أنتِ اللغة . أنتِ اللغة .
قال .

» يا عبد .

ما قلتُ لك ذلكَ .

حتى هدَّ يثُكَ لذلكَ .

فرايتَ ذلكَ .

راه قلبُك .

وعرفتَ ذلكَ .

عرقه قلبُك .

يا عبدُ .

ما لأفكارك .

تنعطف على أفكارك .

وما لهمومك .

تبَّيتُ وتُصبحُ .

في همومك » .

يُحْكِي أَنَّ امْرَأَةً مِنْ ذَوَاتِ الْأَسْرَارِ كَانَتْ فِيهَا مَضَى لَهَا مِنْ أَيَّامِ
الْعُمُرِ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ عَنِ الصَّبَابَةِ تَأَوَّهَتْ. وَإِذَا تَحَدَّثُوا لَهَا عَنِ الْجَمَالِ
تَنَكَّرَتْ. وَإِذَا جَاءَ ذِكْرُ الرِّجَالِ التَّفَتَّ عَلَى نَفْسِهَا. وَانْقَبَضَ مِنْهَا
الْجَسَدُ. وَامْتَدَّتِ الْخُلُجَاتُ. وَابْتَسَمَتْ. كَأَنَّمَا تَرِيدُ ضَحِكًا يُلْقِي بِهَا عَلَى
مَدَدٍ. وَكَانَتْ تَخْلُوكُلُ لَيْلَةً فَلَا تَنفَكُ هَائِمَةً حَتَّى يَحْضُرَ لَهَا مِنْ عَالَمٍ لَا
تَعْرِفُ مَوْرَدَهُ رَسُولٌ يُتِمِّلُ إِلَيْهَا بَهِيئَةً نَافِثِ الشَّعْرِ. فَتَخَالَهُ مَلَكَامُهَا.
وَكَانَتْ تَرْفُلُ بِهِ. فَيَقُولُ. حَدِّثْنِي بِالَّذِي تَجِدِينَ. وَمَا هِيَ إِلَّا رَهْبَةٌ
حَتَّى تَقْصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهَا مَعَ الْأَحْشَادِ. ثُمَّ تَلْعَنُهُمْ. فَيَنْصَرِفُ.
وَفِي لَيْلَةٍ دَعَتْهُ قَابِي. فَسَكَنْتَ إِلَى عَزَلَتِهَا. وَقَالَتْ. هَذَا نَذِيرٌ.
وَلَمْ تَكْتَرِثْ.

فَلَقَدْ نَالَ الزَّمَانُ مِنْ عَزَمِهَا حَتَّى ارْتَاضَتْ جَلَدًا.
فَاسْتَلَقَتْ. وَأَغْمَضَتْ. وَلَمْ تَكُنْ مِنْ حَوْلِهَا الْأَنْوَارُ. وَقَالَتْ. مَا بَالُ
النَّاسِ وَاهِمِينَ، مَا مِنْ أَحَدٍ يَرُوحُ وَيَجِيءُ إِلَّا وَأَنَا عَنْدهُ مِنْ أَسْعَدِ خَلْقِ
اللَّهِ. يَرَانِي عَلَى خُلُقٍ يَفْعَلُ فِي النَفُوسِ فَعْلَ الْآخِذِينَ. وَيَشْهَدُ مَا يَعْتَرِي

الوجهة مِنِّي . فَيُشْفِقُ إِشْفَاقًا يَعِزُّ عَلَيْهِ . و يَرَانِي عَلَى يَقْظَةٍ لَيْسَتْ كَيَقْظَةِ
حَوَاءَ . حَتَّى إِذَا ضَاقَ أَمْرِي أَبَدَيْتُ أَنْشِرَاحًا . وَ مَا هُوَ بِالْأَنْشِرَاحِ . وَإِذَا
اغْتَرَّ النَّاسُ بِي أَقْضَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَتِي . وَ النَّارُ تَلْتَهَبُ فِي جَوَانِحِي .
أَكْتُمُ الْغَيْظَ . وَأَقُولُ . قَدَرِي .

و مَرَّتِ الْأَيَّامُ .

وَازْدَادَتْ الْأَيَّامُ .

وَ أَبْرَمْتُ فِي دُنْيَايَ عَقْدًا قُلْتُ لَا يَنْصَرُمُ .

هِيَ ذَا الْحَيَاةِ .

أَنْسَيْتُ بَشْرَهَا .

حَتَّى قُلْتُ هِيَ لِي . وَ هُوَ مِنْهَا .

أَقْبَلُهَا كَارِهَةً .

وَ أَطَهَّرْتُ مَا تَجِئْتَنِي بِهِ .

أَغْسِلُ الْأَدْرَانَ .

وَ أَصْنُمْتُ .

وَ ارْتَضْتُ بِمَا أَنَا عَلَيْهِ . وَ ارْتَاضُ بِِي . وَ أَنْسَانِي الْيَأْسُ كُلَّ أَدْعِيَتِي .

فَلَمْ يَبْقَ لِي مِنْهَا إِلَّا دَعَاءٌ كُنْتُ أَرَدُّهُ كُلَّمَا حَلَلْتُ بَيْنَ السَّوَادِ يَغْدُونَ

وَ يَرْوَحُونَ . فَأَقُولُ . اللَّهُمَّ إِنَّ الصِّمْتَ عِبَادَةٌ . اللَّهُمَّ إِنَّ الصِّمْتَ عِبَادَةٌ .

وَ كُنْتُ أَحْرَكَ بِهِ لِسَانِي . وَ لَا يُسْمَعُ لِي مِنْهُ صَدَى . حَتَّى كَشَفْتُ أَمْرِي

كَاهِنَةٌ. فَلَا بَسْتَنِي. وَقَرَأْتُ تَمَائِمَهَا. تُمِيطُ اللَّثَامَ. وَأَنَا فِي عَزَلَتِي.
كَأَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا الْأَمْدَيْنِ. وَكُنْتُ أَقُولُ. إِنَّ هِيَ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْ
السَّوَادِ.

فَحَمَلْتُ وَزَجَرْتُ وَاعْتَرَى وَجْهَهَا الْغَضَبُ وَانْبَثَقَ مِنْ مَقْلَتَيْهَا
شَرَرٌ كَاللَّهَبِ. وَقَبَضْتُ عَلَى مَرْفِقِي قَبْضَةً أَوْجَعْتَنِي. وَمَا حَلَّ بِالنَّفْسِ
أَعْظَمُ. فَرَجَعْتُ نَفْسِي إِلَيْهَا وَكَأَنَّمَا مِنَ الْأَدْغَالِ. وَسَافَرْتُ بِي فَقَطَعْتُ
بَرًّا فِي رَحِمِ الْأَمْزَاجِ. وَلَمَّا رَأَتْ فِي عَيْنِي بَرِيقًا اطمأنت وَضَمَّتْنِي إِلَيْهَا.
ثُمَّ أَمْسَكَتْ مِنِّي الْكَتْفَيْنِ وَتَحَتَّ بَوَجْهَهَا عَنْ وَجْهِي وَأَسَدَلَتْ ثُوبِي
وَتَوْبَهَا وَطَاطَأَتْ بِالرَّأْسِ وَانْتَظَرْتُ حَتَّى فَعَلْتُ فَعْلَهَا فَقَالَتْ فِي صَوْتٍ
حَنِينٍ كَأَنَّهُ آهَةٌ الْوَضْعِ تَتْلُو آتَةَ الْأَوْجَاعِ وَالْأُمُّ يَقْطِى وَالْوَلِيدُ عَلَى
الْفِرَاشِ: سَيَأْتِي مِنْ يُبَدِّلُ حَالَكَ وَلَا تَشْعُرِينَ.

وَمَضَتْ وَتَرَكْتُ فِي نَفْسِي مَا إِنْ سَأَلْتُهَا عَنْهُ حَارَتْ جَوَابًا.
وَنَسِيتُ أَمْرَهَا.
وَلَا أَذْكَرُهَا إِسْمًا.

وَدَارَتْ الْأَفْلَاكُ. وَلَا يَمْزُقْنِي الْآنَ أَمْرٌ كَمَا تَمْزُقْنِي غَفْلَتِي عَنْهَا.
تَتَاكَلْنِي الْحَسْرَةُ أَنْ فَرَطْتُ فِي حَبْلِ الْأَسْبَابِ لَهَا. وَعَلَيَّ مِلُّ الْأَرْضِ لَوْ أَنَّ
بَصِيرًا أَرَشَدَنِي الْيَوْمَ إِلَيْهَا فَأَضُمَّهَا وَأَقْبَلَ مِنْهَا الْجَبِينَ.

مَدَاد

مِنَ النَّاسِ مَنْ يُفْتَنُ فِي مَالِهِ . وَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْتَنُ فِي إِيْمَانِهِ . وَقَدْ
يُمْتَحَنُ الْمَرْءُ فِي بَدَنِهِ . وَقَدْ يُبْتَلَى فِي عَقْلِهِ . وَلَقَدْ فُتِنْتُ فِي كَلِمَاتِي .
وَالْفِتْنَةُ دُخُولٌ إِلَى النَّارِ تَصْهَرُ الذَّرَّاتُ وَ تَصْقُلُ فَتَخْلُصُ مِنَ الْأَدْرَانِ .
وَالْعَشْقُ فِتْنَةٌ لِلْمَرْءِ فَإِذَا الْمَرْءُ فِي عَشْقِهِ فَيَأْمَأُ إِلَى انْتِحَارِ الذَّاتِ
بِحُبِّهَا وَإِمَأُ إِلَى خِلَاصِهَا بِهِ إِلَى الْأَبَدِ .

فَأَنْعَمُ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ إِنْ كَانَ الْخِلَاصُ مُمَالِكًا .

قَالَتِ الْكَلِمَاتُ :

تَاللَّهِ إِنَّكَ لَمَحِبٌّ لِنَفْسِكَ . مُغْرَمٌ بِهَا . مُفْتُونٌ فِيهَا . مَتَهَافٌ
عَلَى مَا يُرْضِيهَا .

قَالَ :

إِي وَرَبِّ السَّمَاءِ .

قَالَتْ :

أَلَا تَرَكَ مُتَعَلِّقًا بِحُبٍّ مِنْ أَحَبِّكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَ هَائِمٌ بِمَنْ أَحَبَّكَ .

قَالَ :

لست أدري . ولا مُنَجِّمَتِي تَدْرِي . ولكنّ الذي أدري أني ما عرفت
نفسي إلا يوم عَرَفْتُكَ . عَرَفْتُهَا فِي سِرِّهَا وَفِي نَجْوَاهَا . عَرَفْتُهَا عَلَى أَسْنَامِ
قَوْتِهَا وَفِي سُفُوحِ ضَعْفِهَا . عَرَفْتُهَا فِي كِبَرِيَّاتِهَا وَفِي انْعِطَافِهَا . وَفِي
خَيَلَاتِهَا وَزَهْوِهَا كَمَا فِي لِينِهَا وَانْسِيَابِ أَطْرَافِهَا .

رُحْمَاكَ .

رَفَقًا بِالرَّضَى .

رَفَقًا بِلِينَ الْحُلَمَاءِ .

وَسَأَلَ ابْنَ دُلَامَةَ أُمَّهُ عَنْ سَعِيرِ الْغَضَبِ فَقَالَتْ :

الْغَضَبُ فِتْنَةٌ فَلَا تَصْطَنِعْهُ . فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ فِي خَيْرٍ فَهُوَ خَيْرٌ
فَاسْتَعْنِ بِهِ عَلَى تَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنْ أَدْرَانِهَا وَصَفَاءِ السَّرِيرَةِ مِنْ غَلَوَاتِهَا .
وَالْعُشَّاقُ أَشَدُّ النَّاسِ غَضَبًا وَأَسْرَعُهُمْ إِلَيْهِ فَلَا يَلُومَنَّاهُمْ أَحَدٌ فِيهِ . وَإِنَّمَا
تَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يُكَابِرُ فَتَعَزُّ عَلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَسُوءَ ظَنَّهُ بِالْعَشْقِ فَلَا
يَعْلَمُ النَّاسُ إِنْ كَانَ عَاشِقًا أَوْ كَانَ مُصَانِعًا حَتَّى إِذَا غَضِبَ انْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَانْجَلَتْ الْحُجُبُ فَبَانَ مِنْهُ مَا كَانَ مُخْتَفِيًا .

قَالَتْ دُلَامَةُ : وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْرَارِ الْغَضَبِ وَ مِنْ أَجَلِ فُضَائِلِهِ .

ثُمَّ سَأَلَتْ بَرَكَانَ الْغَضَبِ :

مَنْ أَشْعَلَ نِيرَانَكَ . مَنْ أَضْرَمَ لَهْيِكَ وَأَطَالَ حَرِيقَكَ . مَنْ يَأْتُرِي
أَوْقَدَ تَنُورِكَ وَفَجَّرَ أَفْرَانَكَ . وَ مَنْ الَّذِي سَلَطَكَ فَأَمْسَكَتَ بِي

و استعبدتَ فؤادي . ومن أوقع بيننا فركبتني كصهوة الجياد .

قال :

لا تسأل . فحُمَمِي تُخْصِبُ الْأَرْضَ فَتَدْفُقُ بِهَا حُبْلَى وَكُودًا
جَنِينُهَا الْحُبُّ يُبْعَثُ بَعَثًا جَدِيدًا . وَتُسْقَى بِرُغَائِهَا شَرَايِينُ الْقَلْبِ
فَيَنْبُضُ بِمَا كَانَ يَنْبُضُ بِهِ حَتَّى الْأَزَلِ .

قلت :

لَبَّيْكَ يَا غَضَبِي .

لَبَّيْكَ يَا غَضَبِي .

حَرْفٌ

سئل الملائك أن أهل الأرض قد استحدثوا من الأنا لفظاً أطلقوه على من أحب نفسه وآثرها على من سواها .

قالوا : دأب أهل الأرض عصيان خالقهم . فقد وَّضَعَ لهم الأنثى ولم يجعل لهم لفظاً . ووضع لهم اللغة وجعلها أنثى .

هي تُحِبُّ فلا حبَّ كحبِّها . وهي تتهافت حتى لهي إلى الفناء عالقة بالعدم . ثم هي تُحِبُّ حُبَّها . كحبِّها من أحبِّها . تَلُوكُ اللَّفْظَ . وتَعْلِكُ الأوصافَ . وتُحَلِّي المَرَاكِمَ . ويدها تَصْنَعُ البَلَّاسِمَ . تُضَمِّدُ مَا حَفَرَتْهُ عَلَى الجَسَدِ . وتُوارِي مَا نَقَشَتْهُ عَلَى الرُّوحِ مِنَ المَغَارِزِ .

مملكتهَا من هروبِ الناسِ عن أحوازهم . وعرشُهَا من خوفهم المَكْرَ واتقائهم مذلة الأسرِ وسوء الإفصاحِ . والقوةُ لها أن تُمسكَ بمن حَوْلَهَا من مقابضِ الوَهْنِ ومَرَابِضِ الأوجاعِ .

عَلِمَهُمْ بعضُ ذلك أبوهم يوم نزل إلى الأرض ونزلت حواءُ فراح يبحثُ نهاراً وَيَسْتَجِمُّ ليلاً . وظلت ساعيةً بالليل والنهار حتى إذا

تصادفا على الجبل أمسكتُ حيث كانت . وجرى مهرولا . فأخبر صادقا .

وقالت : منذ السماء لم أبرح موطني .

وما نسيه الأبُ أكمله الأبناء . ففتننا في الطاعة ومهانة

السؤال . وكلما أمعن الواحدُ منهم ظنَّ نفسه الفتى وهو الطفلُ لا يبرح

أعتاب المراضع .

أف لرجال كأشباه الرجال .

وسُحقا للأطفال يهودون بغير ما يطلبُ الطالبُ . وهم على الوهم

أن قد جادوا بما يطلب الطالبُ .

وتباً لصبية يَبخلون بأيسر ما وهبوا وهو الكنز المطلوبُ

والمبتغى الموعودُ .

فكتب كبيرُ الملائك على بعض ألواحه :

لو كانت الأنثى ذكراً والذكر هو الأنثى لاشتكت منه إليه أكثر مما

يشتكي اليوم منها إلينا .

خُلِقَ الإنسانُ ما أكفره .

ليتَه اكتفى بما خلَق الله ولم يستحدث لفظاً .

فتنةُ هذا من فتنة تلك .

دَلَالَةٌ

يالغتي . يا شاعرة .

سمعتُ فيما يسمعُ النائِمُ هاتفًا جاء يُخبرني أنكِ يوما ضحكْتِ .
وارتفع منكِ الصوتُ . وأنا غائب . فلما رأيْتُكِ وعرفتِ ما جاءني أرسلتِ
أنصافَ الجُفونِ . وتوسدتِ ذراعي . وطلبتِ الأناملَ . فراحتِ تهدهدُ .
ومرت على الوجنة . فاعتلتها حمرةٌ لم أر في حياتي لونها . وأطبقتِ
النواظرَ . وهمتُ بفمي منكِ الشفاهُ . فأبطأتُ بكِ . حتى قزعتِ .
وجلّوتِ الأبصارَ . مُحمرّةً . تتبلّلُ . فأرسلتُ فمي . فطلبتِ ظلامَ
الصمتِ . فأعطيتُكِ نورا . وأشفقتُ عليكِ .

فناديتُ :

ظمأى إلى لَفْظِكَ أنشدُهُ . ظمأى إلى نِخْلِكَ أَقْطَفُهُ . الحرفُ بُبْضُ
والمَدَادُ على الصَّدَى . و النفسُ حَرَّى . و البوادي . ولو اهفي .
كووسُ المفازاتِ تَقَاطَرُ كالنَّدى . ولستُ أدري . هل في اللفظِ
مَصْرَعُنا . أم القلوبُ ، على الأوتار تترجفُ . أم السرايا . أم الأوجاع على
الأفواه تبتسم . مَفَاتِنُ اللفظِ تهادت . ويسترقُ المنادي . ويعيد منشدا .

إلى اللفظ الرقيق أنا الظمانُ أقرأهُ إلى الحرف الجميل أنا الفنان أصبغهُ . إلى
 الوجه الصَّبُوح . إلى النورِ المضيء . أنا اللّهفانُ . لهفي على الأشعار
 أغزلُهَا . وعلى الضفائر . تمرّ يدي . تهددها . إلى سَعَفِ النخيل .
 أليافٌ مُذهّبةٌ . خيوطٌ تتراعى . بأصباغِ الحروف . إلى الكلمات .
 بمسكِ نَدَاكِ . أملؤُهَا . إلى خفقاتِ القلب . أسمعُهَا . إلى نبضاتِ
 اللَّحْظِ . وهو يرتعش . إلى الوجَعَاتِ . أرُقُبُهَا . لهفي على لغتي . حبّا
 يعانق الألفاظ . مُدْبَزَعَتٌ . نجمةُ الأعراب فاتنةٌ . رَبَابُهَا الشعرُ .
 وهي نائيةٌ . فمتى الألفاظ تزدهرُ . ومتى الأمصارُ تقترب . وتزولُ عن
 لغتي الشكوكُ . وينطلق اللسانُ مُجَدِّدًا . فَتَقْتَرِبُ الأمصارُ . وتُلْقَى
 على الأبحار . جسورٌ ذارعاتُ . تُلْفُ المَخَاصِرَ . قدودًا مائساتُ .
 ويلينُ لك الطيفُ العنيدُ . والشعرُ أكبرُ . كم في اللفظ من عَجَبٍ . ملءُ
 القلوب . كوحدةِ الأوطانِ في وطن . يا وحدثي . يا وطنًا . يا لغتي . لا
 الشعرُ منك يُرضيني . ولا الإيقاعُ بعيدًا عنك يرويني . ولا الكونُ
 يصفوُ إلا متى الألفاظُ تتحدُّ . وينبثقُ اللفظُ الكبيرُ . فمتى الأجراحُ
 تندملُ . ومتى الأطيافُ ترتحمُ . فيؤوبُ لي رُشدي الذي . على صَفَحَاتِ
 اللفظِ ينتشرُ . وبين ضِفَافِ النخلِ . يزدهرُ . وتؤوبُ لي لغتي التي .
 كَأَلْفِ سَنَى في ربيعِ عُمْري تَأْتِلِقُ .

تَرْتِيلٌ

إِلَيْكَ أَيَا سَيِّدِي .

إِلَيْكَ أَيَا نَاطِقِي . يَا مُتَكَلِّمِي .

أَنَا اللُّغَةُ . إِنِّي أَنَا الْعِذْرَاءُ وَإِنْ صُحِبْتُ . مَازَلْتُ بِجَوْهَرِي الْمَكْنُونِ
هَازِنَةً بِالشُّعْرَاءِ . بِالْحُكَمَاءِ . بِسُخَائِهِمْ يُسِيلُونَ مِنَ الْأَمْهَارِ أَوْدِيَةً . وَمِنْ
الْأَشْعَارِ أَفْنَدَةً . يَجْرُونَ . وَهُمْ لَاهِثُونَ . وَرَاءَ الْمَحَارِ وَالْأَصْدَافِ .
حَتَّى إِذَا مَا فَتَحُوا . بَابَ الْقِلَاعِ وَابْتَهَجُوا . بِالنَّصْرِ . بِالكَسْبِ . بِاللَّذَّةِ
الْعَجَلَى . عَادُوا إِلَى نَشْوَةِ اللَّفْظِ . عَلَى الْأَكْتَفِ أُرْدِيَةً . مِنْ لُجَيْنٍ وَمِنْ
دَهَبٍ . وَالْوَهْمُ قَاتِلُهُمْ . فَازُوا بِتِلْكَمُ الْأُنْثَى . وَقَدْ كَسَبُوا . كَأْسَ
الْمَوَاسِمِ . وَالصَّدُورُ تُوشِحُهَا . دَوَائِرُ الْأَذْهَابِ . وَمَاقِطُنُوا . وَمَاعَرَفُوا .
مِفَاتِحُ الْقَلْبِ . فِي غَيْرِ مَا قَصَدُوا . مِفَاتِحُ الْقَلْبِ . وَالْأَلْبَابِ . سَيِّدُهَا .
أَمِيرُ اللَّفْظِ . فَارِسُ الْأَحْلَامِ . صَانِعُ الْعَشْقِ . نَاحِتُ الْأَمْثَالِ . إِلَى الْبَيَانِ .
وَفَتْنَةُ الْكَلِمَاتِ . كُلُّ الْعَذَارَى . وَالطَّائِرَاتِ . وَالْفَرَاشَاتِ . تَنْجَذِبُ . حَتَّى
تَذُوبَ . بِضَوْءِ النُّورِ . بِنَارِ الْوَجْدِ . وَتُعْلِنُهَا . وَتَقُولُهَا . عَلَى طَوْلِ
الْمَدَى . إِلَيْكَ يَا مَلِكِي . إِلَيْكَ أَيَا سَيِّدِي . إِلَيْكَ . أَنَا الْعِذْرَاءُ . إِلَيْكَ

دمي . فارتشف على قدح . واسقني من دمي . فلا النار وأنت مني
بحارقة . ولا الأنوار في غير وجدك ساطعة . فالنور أنت . والنار
وجدك . واللهيب . لهيب لفظك . وأنا فيك فانية . فلا ترحم . عليك بي .
عليك بي . فذات الأشجان تأوّهت . فشكتها الزفّرات . مرهف قلبي
والأوجاع تلهب . والصوت منخنق وتلكم الأنفاس . ويبحثهم
الخوف . داعياً متبلاً . ويلوح في الأفق المرام . الأزهار تلمسني .
وأشجار الربيع . والصدر متزع . والطائر الخفاق . أواه يشدني .
جنّاحان في كبدي . والسماء . والغرب . والشفق اللّاع . وبحار
الموج . وتهاليل الصّبّا . والماء مفتتن . وتشرق الشمس . هاتوا
الفناء . هاتوا المغارب . وليسكت الصوت . ليمتدّ الهوى . والرجع
قادم . وفي الليلة الظلماء . يصمّد الثائر . ويثوب الصابرون . والتائهون .
والعائدون برجع الصّدَى . والمقسّمون . تالله لراجعون . وليلة
الرحيل . دموع ذارفات . والكحل مغتسل . وأودية السّراب . تقرأ
الكف . قلوب وقلوب . ستائر الرّوض . وألوان العطور . أعناقها
الجيد . والروابط تلتوي . وتزهو بها الأشواق . والأيدي الوثائق .
تغازل الثوب . والمرأة باسمه . وتُخجل العين . ويمتدّ الحديث .
والحناجر واجفات . وفي كل صباح . وثاق جديد . وزوابط الأعناق قيد
محب . وتحلو الملابس . والنواظر سائلات . خفف الوطء . أفلا تُغني .

وَيَحْتَفِلُ الْجَمْعُ . وَيَطْلُعُ الْبَدْرُ . وَيَصِيحُ بِالسَّمَاءِ الْوَدُودُ . مَا بَالُنَا نَقْطَعُ
الْأَيْدِي . فَيُوسَفُ هَاهُنَا . وَزُكَيْخَاءُ الْيَمَنِ . عَلَى الْعَرْشِ مَالِكَةٌ . وَالصَّرْحُ
الْمَمْرَدُ . وَ الْمَلِيكَ الشَّامِخُ . لُجَّةٌ مِنْ قَوَارِيرُ . وَيَدْخُلُ التَّاجُ . وَيَأْتِي عَلَى
سَبَا . يُوسَفُ وَالْأَمِيرُ . وَتَأْتِي الْهُوَيْنَا . وَتَحْمَدُ الْعَرْشَ . دَاعِيَةً . أَفَّ
لَهُمْ . فَيُوسَفُ أَنْتَ . وَأَنْتَ السُّلَيْمَانُ .

لَمَمَةٌ

أَيْتَهَا الْأَنْثَى . مَا أَنْتَ إِلَّا لَهْجَةٌ . صَه . لَكَ عِنْدِي صُورَةٌ .
لَا تَتَحَدَّثْ . أَخْشَى عَلَيْهَا . أَنْ تَتَدَحْرَجَ شُرُفَاتُهَا . فَاسْكُتْ .
سَتَنْزِفِينَ دَمًا . سَتَشْقَيْنَ عَذَابًا . سَتَسْأَلِينَ الْمَرْأَةَ كُلَّ صَبَاحٍ . أَكَلَامِي .
كَانَ نَزْوَةً . أَمْ كَانَتْ لَهْجَتِي . أَمْ مَسْكَنِي . أَنَا التَّائِهَةُ . عَرَفْتُ الْأَحْوَالَ .
كُلَّ الْأَحْوَالَ . فِي مَطْلَعِ الْكَوْنِ . انْفِجَارُهُ الْأَكْبَرِ . فِي بَدْءِ الْخَلِيقَةِ . كَلِمَةً .
وَأَدَمُ كَلِمَةً . وَحَوَاءُ . وَالشَّعْرُ . كَلِمَةً . وَبِدَايَتِي . كَانَتْ . كَلِمَةً .
فَعَشَقْتُ الْكَلِمَةَ . عَلَى جِدَارِ الصَّمْتِ . كَسَرْتُ قَلَمِي . بَيْنَ الْهَوَاتِفِ .
ضَاعَ صَوْتِي . مَا خَلْتُ أَنِّي قَدْ أَتَوْتُ . مُذْمَنًا كُنْتُ . فَاقْدَا حِسَّ الْإِبَاءِ .
فَتَعَجَّلْتُ الْغَوَايَةَ . وَاسْتَطَبْتُ مِنَ الْهَوَى . وَنَادَيْتُ بِالْأَحْضَانِ . أَيْتَهَا
الدَّوَاهِي . إِنِّي لَأَنْتَحِلُ الْقَصَائِدَ . مُسْتَلَذًا بِدَمْعِهَا . كَاطِمًا لَغِيظِ الشَّعْرِ .
أَلْوِي اللَّهَاءَ . وَأَغْصُ . كَمُنْتَحِرٍ بِسَيُوفِ اللَّفْظِ . مُرَاوِحًا بَيْنَ الدَّعَاءِ .
لَزِجًا . مُفَاخِرًا . مَكَابِرًا . طَلَبُ الشَّهَادَةِ . لَيْسَ يَعْنِي . أَنْ نَمُوتَ . طَلَبُ
الشَّهَادَةِ . أَنْ نَعِيشَ . وَأَنْ نَرَى جَنِينَ الْهَوَى . تَفْتِكُهُ الْأَبْدِي . وَيُودَعُ .
سَلَّةُ التَّارِيخِ . مُهْمَلًا . وَالْمَقَابِرَ .

ألا فأنْضَرِمِي أَيْتَهَا النَّارُ. أَلَا قَالَتْ هَيْبِي . مع الفجرِ . وعند
الغسقِ . وانبلاجِ النورِ . والخيْطُ الرقيقُ . ساطعاً يتسلَّلُ . والقُرْصُ
الأحمرُ . والكوكبُ الهادي . والأفلاكُ هائمةٌ . ويَخْرُجُ الساعي .
حريصاً . مؤذناً . قَطَرَاتُ النَّدى . تُبَلِّلُهُ . وليس يدري . متى يتصبَّبُ
الطَّلُّ . أو يترامى الرِّذاذُ . الحقلُ عائمٌ . والباسقاتُ مزارعٌ ومفاتنٌ .
سرايِلُها الخُضْرُ . فوَاحَةٌ بِشَدَى اللِّوَاخِ . والنخلةُ الحوَّاءُ . عطرُها .
يأتي السَّبايا . فَيُنْشِدُنَّهُ . وتمضي بُرْهَةٌ الفجرِ . ويعلو من الأشعةِ .
همسٌ كهمسةِ الأقراصِ . وهي واجهةٌ . تَتَحَفَّزُ . تدعو إلى الظلِّ الوَرِيفِ
أناملُ الفيضِ . مَسْلاَةٌ كفراديسِ الشَّجَى . ويأتي صباحُ الفجرِ . ويسكنُ
الكونُ . والبدرُ يَنْحَجِبُ . وتحتفلُ الأفلاكُ . والخلُّ بِخِلِّهِ . وتَصْدَحُ
المآذنُ . بصوتِ قَرَّاحٍ . ألا أَيْتَهَا الشَّمْسُ . انْكَسَفِي . وَيَنْسَدِلُ الظلامُ .
وترتعشُ القلوبُ . معصوفةٌ . منها الرُّضابُ . يتصبَّبُ . والأيكُ مُحْفوفٌ .
بزَهْرِ الجِنَانِ . ورداً عبيقاً . تائها في الروضِ يتلوهُ النَّدى . واللَّحْنُ .
كَشِفَاهِ الصوتِ غامِزَةً . يَعْلُو . وَيَخْفُتُ . مُنْشِداً . ومردِّداً . أوَاهُ يازَمَنُ .
قَفْ هَاهُنَا . عليك بنا .

لو تَسْكُنُ الأفلاكُ سَاعَتَنَا . ويؤوبُ من ساحرِ الألوانِ . طيفٌ .
خذ بيدي . فالأناملُ داعيةٌ . يأتي الرحيقُ ديبِيبها . وينبجُ السَّعِيرُ . كَألسنةِ
اللُّهَابِ . مالي أراكِ مسارعاً . فالعُشْبُ أخضرٌ . والرُّوَاءُ مكابرٌ . أنساغهُ

الْبِكْرُ. عِيُونُهَا. تَفِيضُ مِنْ غَسَقِ الْفَوَادِ. جَدَاوِلُ الْلَفْظِ. كَظَلَالِ عَرْشٍ
 عِنْدَ الْأَصِيلِ. عِنْدَ الْفَصِيحِ. عَلَيْكَ يَ. تَبَرَّأْتُ بَرًّا. هَاتُوا الْبَرَايَا.
 كَالْمَفَازَاتِ الَّتِي. بِهَا أَمَلِي. بِهَا لَهْفِي. لَا تُوصِدُوا الْبَابَ. وَلَا الْجَدَاوِلُ
 تَرْتَوِي. إِلَّا مَتَى. تُصِيبُ الْوَجْدَ. وَالرَّيْحَانَ. وَنَرْجَسِي. فُكَّ الْعِقَالُ.
 وَأُطْبِقَتِ الْجَفُونَ. وَتَحَرَّكَ الْلَفْظُ. لَوْ نَطَقَ الطَّيْرُ بِهِ. لِأَمْطَرَ الْقَلْبَ
 بِإِعْجَازِهِ. بِإِيثَارِهِ. بِلَحْنِ كَجَوَادِ السَّمَرَا طَبِّ وَالنُّهَى. فِيكَ الرَّحِيلُ.
 وَصَحْرَاءُ أَرْضِي. هَضَابُهَا. وَتَلَالُهَا. مُحَمَّرَةٌ. أَحَبَّتُهَا. مِنْذُ فَجْرِ
 تَائِهِ بَيْنَ الْحَنَايَا. فَضَاؤُهَا الرَّحْبُ. يَلُودُ بِمَعْبَدِي. بِالْغَابَةِ الْوَعَثَاءِ.
 بِالْعَطْرِ الْعَنِيفِ. كَسِهَامِ نَبْلِ. قَوْسُهَا. فَاسْكُنِي. فَالْغَيْثُ آتٍ. وَمَنْ
 قَبْلَنَا. عَطَشُ الظَّمآنِ سُلَافُنَا. فَلْتَظْمِي. أَوْجَدُ هَائِمٌ. أَمْ جَنُونَ
 الرَّاشِدِينَ. الْقَادِرِينَ. الْفَاتِحِينَ أَقْفَالَ السَّرَائِرِ. وَالْقَائِلِينَ. إِنَّ الْفَتَى. أُنَى
 أَتَى. وَارْتَمَتْ الْأَطْرَافُ. وَعَلَى الرَّبِّي. يَتَكَسَّرُ الْمُكَابِرُ. غُفْرَانُكَ
 الذَّنْبَ الَّذِي قَدْ تَأَبَّى فَسَجَا. وَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ. بِلَهْجَتِي. بِالَّذِي
 أَسْعَرَنِي. خُذْنِي إِلَيْهِ. عَلَى الْمِينَاءِ رَاسِيَةً. شَرِاعَكَ بِيَدِي.
 رَايَاتُنَا الْحَمْرَاءُ. بِيضٌ. عَلَى شَاطِئِ الزَّهْوِ تَرْسُو بَنَا. مُعْسَكْرُهَا
 الْجَنُونَ. وَصَوْتُ سَاحِرٍ. طُوبَى لِمَنْ بِنَارِكَ يَصْطَلِي. يَا مَنْ
 يَصْطَلِي. وَعَلَى جِمَارِكَ يَلْتَوِي. وَفِي نَهْرِكَ الْفَوَارِ. أَبَدًا لَا يَرْتَوِي.

شَدُو

فُيِّلَ الفَجْرِ . تَيَقَّظَ حَسِيٍّ . فَأَفَقْتُ ثَمَلًا . وَتَوَهَّمْتُ نوما . سَافَرْتُ
 فِيهِ . لَا يَرُدُّنِي وَقْتُ يَمْضِي . وَلَا أَرْضُ حَزَنٍ . حَتَّى إِذَا . مَا بَلَغْتُ
 النُّهَى . خَلَوْتُ إِلَى الْحَيِّبِ . مَهَاضِبًا . أَجُسُّ إِلَيْهِ الطَّرِيقَ . بَيْنَ الْمَعَاطِفِ
 مَتَرَفِّقًا . أَدْنُو . ثُمَّ أَتَوَقَّفُ . فَيَأْخِذُنِي التَّوَقُّ . ثُمَّ . يَصُدُّنِي . هَفِيفَ
 خَوْفٍ . كَالرَّعْشَةِ نَخْشَى بِهَا . أَنْ يَنْقُضِيَ الَّذِي بَنَا . فَأَعَاوِدُ . فَإِذَا الَّذِي
 بَنَا . بَعْضُ مَا بَنَا . تَمَرُّ أَنَا مِلِّي عَلَى الصَّحَائِفِ . فَيَزْهُو اللَّفْظُ مُتَلَقِّفًا .
 وَتَنْفَتِحُ الْمَعَانِي . مُعَانِقَةً . كَاللَّغْوِ الْبَعِيدِ آذَاهُ الْحَيْنُ . إِلَى وَطَنِ . فَحَلَّ
 بِهِ . يُقْبَلُ أَرْضَهُ . وَيُمَرِّغُ الْوَجْهَ عَلَى الْكَلِمَاتِ . يَسْتَنْشِقُ عَبِيرَ الْمَرَافِيءِ .
 يَهْفُو . كَصَبِيٍّ إِلَى الْمَحَاضِنِ . وَسَمِعْتُ اللَّفْظَ يَشْدُو . فَاِنْسَدَلْتُ عَلَى
 الْوَجْتَيْنِ . مَعَازِفُ الشُّكْوَى . وَأَحْسَسْتُ أَنَّ الْكَلَامَ يَتَظَلَّمُ . يَرِيدُ أَنْ
 يُفَاتِحَ . فَلَا يُفْصَحُ . وَيَسْنُ أُنَيْنًا يَعَضُّ فَوَادِي . فَأَرْدُدُّ لَهُ
 الصَّدَى . أَبَاكِهِ بِالْدمْعِ السَّخِي . ثُمَّ أَضْغَطُهُ بَيْنَ الْحَنَاجِرِ . فَيُسَلِّمُ أَنَّ .
 تُنَادِي بِلَا مَكْلٍ . فَأَحْتَضِنُ الْأَلْفَاظَ . كَأَنِّي مُلَاتِمٌ . وَمُقْبِلٌ . ثُمَّ أَعْتَصِرُ
 اللَّفَافَ . هِفَا كَأَنَّهُ الْمَعْنَى . أَبْخَرَةُ الرُّوحِ . تُصَاعِدُ الْأَنْفَاسَ . وَأَتْرَكُهُ

يفيضُ خوفًا . يكادُ يَغْضَبُ . حتى إذا ظَنَّ الكلامُ . أنِّي مُعَذِّبُهُ .
 تسلَّقتُ الهضابَ . في يَدَيِ الألفاظِ . وأمسكتُ تِلْكَ لَهَا . عَنيفًا كَأَنِّي ظَالِمٌ .
 أَجْسُ . ثم أمسكُ قابضًا . ثم أضْغَطُ . لا يؤوبُ لي حُلْمٌ . ولا يراودني
 الإشفاقُ . أثبتُ الحروفَ على الصحائفِ . بين السطورِ . أو شك أن أقتلعَ
 ما بدا . وما خفي . وأنا بين زفرةٍ وأنينٍ . والنارُ توقدتُ . من طوقِ .
 وخلا القلبُ . إلا من لبيبٍ شوقٍ . كالمعنى يَسْتَخْلِقُ . أسمع أزيزه .
 يعلو . ويعلو . ويلهفُ . صائتا ومغرِّداً . رحماك إغاثتي . أدركني . مدداً .
 مدداً . لا تُشفقُ . ضفافي موطنك . شفاهي عبيرك . مكاني أسراركَ .
 وحين توسدتُ اللُّوحَ . وأسلمتُ إلى اليراعِ . ذراعِي . وفاض اللهبُ .
 وتوجَّسَ الكلامُ نِقْمَتِي . صاح بنفسه . يَجْلِدُهَا :

تَبًّا لساعةٍ كَفَرْتُ فيها بنعمتك .

سُحْقًا لغفلةٍ زاغت برُشْدِي فضيَّعتُ حُبِّي .

رَجْمًا ليومٍ خلتُ فيه أن أكون غنيًّا . فطلبتُ إليك هجراني .
 وكابرْتُكَ فيه . ثم أصررتُ على الفُرقةِ أعلِّمُكَ فيها الدرسَ .

لا حملتُ بِمِثْلِكَ أُمَّ أَيُّهَا المارِدُ الَّذِي هَمَسَ في كبريائي همسًا
 انتفختُ به أوداجي خِوَاءَ فاختلط الدَّمُ النقيُّ بوعثاء الضَّلالةِ .
 أيُّهَا الإلفُ الحبيبُ . ما أنتَ إلا مَنْ عرفتُ . ما أنتَ إلا أنتَ .
 وَسَجَا الرفيقُ . فتلمَّحتُ في العينِ دَمْعَةً . كشَهْدَةِ العسلِ . خلَّتْهَا

نذيرَ مَناحةٍ . فارْتَشَفْتُهَا . فَكَانَتْ قَطَرَاتِ الْجَوَى . تُسَاقِي فَرَحًا . أَبَدَ
الدَّهْرِ . كَدَمْعَةٍ الْأَثْنَى لَيْلَةً زُفَّتْ إِلَى الْحَبِيبِ لَمْ تَعْرِفْ قَبْلَهُ حَبِيبًا وَلَا تَحَالُ
بَعْدَهُ .

ثُمَّ سَكَنَ الْفَجْرُ . فَنَمْتُ . وَسَمِعْتُ الْكَلِمَاتِ يُرْتَلْنَ تَسَابِيحَ
الْفِدَاءِ . وَسَمِعْتُ إِحْدَاهُنَّ تَنَادِي مِنْ بَعِيدٍ :
كَنتَ حَبِيبًا يَوْمَ عَرَفْتِكَ .

وَكنتَ حَبِيبًا يَوْمَ اسْتَشَاطَ غَضَبُكَ .
وَكنتَ أَلْفَ حَبِيبٍ يَوْمَ لَمْ تَهْجُرْ وَلَمْ تَنْقَمْ .
فَمَنْ لِي بِالسَّمَاءِ تُعِينَنِي عَلَى نَفْسِي كَيْ أُخْلَصَ لِنَفْسِي .
وَمَنْ لِي بِأَحْمَالِ الْأَرْضِ تُعِينَنِي عَلَى رِضَاكَ مِنْذُ بُحْتُ لَكَ : إِنْ لِي
خَالِصَةٌ لَكَ مِنْ دُونَ الْكَلِمَاتِ فَصَدَّقْتَنِي وَكَدْتُ بَعْدَهَا أَنْ أَكْذِبَ
نَفْسِي .

فَعَهْلًا قَبِلْتَ مَتَابَتِي .
هِيَ خَالِصَةٌ خَالِصَةٌ .
وَأَنَا الْخَالِصَةُ الْخَالِصَةُ .

جَهَنَّمُ

الواحةُ جَنَانٌ تُسْقِيهَا الْمِيَاهُ . وَ الْجَزِيرَةُ دِيرٌ كَصَلَاةِ الْآمِنِينَ .
و الرِّبْعُ رَوْضَةٌ تَرْتَجِفُ فِيهَا قُلُوبُ الْخَائِفِينَ .
إِذَا قَطَعْتَ زَهْرَةً فَتَذَكَّرُ مَنْ سَقَاهَا . وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى الْأَهْرَامِ فَلَا
تَنْسَ مَنْ مَاتُوا وَهُمْ يُجْرُونَ الْأَحْجَارَ .

اسْتَلَّ السَّجَابُ قِطْعَةً وَانْزَوَى بِهَا فِي الْمَغَارَةِ خَائِفًا ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي
وَاسْتَوَى عَلَى الْغُصْنِ وَتَمَطَّطَ قَرُوهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الْجُوعَ يَوْمًا .
الْفِتْنَةُ أَنْ تُلْقِيَ بِالْأَجْسَادِ فِي التَّنَوُّرِ تَصْطَلِي وَ الْاِفْتِتَانُ أَنْ تَضَعَ الْيَدَ مِنْ
كَفِّهَا عَلَى الْجَمْرِ فَتَكْتَوِي فَلَا تَصْرُخُ وَلَا تَسْتَغِيثُ .

كَانَ شَعْبٌ مِنَ الشُّعُوبِ مُغْرَمًا بِالْأَمْثَالِ يَنْتَهَجُ فِيهَا نَهْجَ الصُّوَرِ
وَ التَّمثِيلِ وَكَانُوا يَقُولُونَ : الرَّجُلُ كَالرَّأْسِ وَ الْمَرْأَةُ رُقْبَتُهُ يُخَالُ أَنَّهُ
قَدْ تَرَبَّعَ عَلَيْهَا جَالِسًا وَ مَا يَدْرِي أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تُدِيرُهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ
الشَّامَلِ .

إِنْ يَكُنْ الْأَبُ نَاطِلًا وَ الْأُمُّ لِلْأَزْجَالِ قَائِلَةً فَلَا تَلُومَنَّ الْبَنْتَ إِنْ
فَاضَتْ بِالشَّعْرِ أَقْوَالُهَا .

الهاتفُ رسالةٌ والنظرةُ خطابٌ والصِّمتُ إبلاغٌ والرحلةُ كتابٌ^{٦٨}
وقضاءُ الليلِ سفرٌ من الأسفار.

لشركاتِ الكمبيوترِ شاراتٌ . من كُبرياتِها واحدة اختارت
صورةَ تَفَاحَةٍ مقضومةٍ . قال قائلٌ : هذا من الفن الرمزي . وقال آخرٌ :
هو من الرسم الجديد . وقال ثالثٌ : هو مما بعد الحداثة . وقلتُ : لو لم
تُقَضِّمِ التَّفَاحَةَ ما أَكَلْتُ ولو لم تُؤْكَلِ التَّفَاحَةُ ما نَزَلَ آدَمُ الأرضَ ولو لم
يَنزَلْ ما كانت حياةٌ .

السَّحَابُ قد غَشِيَ السَّمَاءَ . وَأَذِنَ المُمْزِنُ بُيَاءَ هَاطِلٍ . فَجَاءَ رَعْدٌ .
وجاء برق . وعَصَفَتِ الرِّيحُ بها عَصَفَت . وانتظرنا الغيثَ . غيثَ السَّمَاءِ .
إِيَّاكَ أَنْ تَحُولَ أَمَلُ اليَوْمِ إِلَى اليَأْسِ مِنَ الغَدِ وَإِذَا شَقِيتَ بِهَا نَفْسُكَ فِيهِ
فَاسْعِدْ بِهَا يَدُكَ عَلَيْهِ .

لخُطوطِ الطَّيْرَانِ شاراتٌ . لهذه حمامةٌ . رَقَّتْ . وانسلَّتْ في الفضاء
مَجْنَحَةً . كأنها تطير . ولتلك غزالةٌ . تمددت . لكأنها . في عَدْوِهَا . حمامة
فَرَّتْ مِنْ أَيْكِهَا . وللأخرى صورة طائر . من الجوارح . عَيْنُ حَدَاةٍ
وَأَجْنَحَةُ الْعُقَابِ . مَخَالِبُ النَّسْرِ أَزْيَزُ الصَّقُورِ .

الكَوْنُ كائناتٌ . جمادٍ ونباتٌ وأحياءٌ . وصندوق البريد من خشبٍ
ومعادن . مفتاحه وكذا جذرائه . جماداتٌ . والنخلة نباتٌ . إذا ماتت .
وجفَّ رُؤُوسُهَا . وقُطِعَتْ هَامَتُهَا . فاجذعُها الباقي . وقد أَيْسَسَ . جمادٌ .

ألفَ الجذعُ زائِرَهُ . وعندَ الهجرانِ . أنَّ الجذعُ واشتكى . حيَّ بينَ
الأحياءِ . تَمَّتِ الدائرةُ . وطُويَ السَّجِلُ .

سَيِّدَةُ أَمِينَةٍ . جاءتْ إلى البنكِ . وفي يدها صكُّ . تريدُ صرفَه .
فاستلمتُ . ثم عادت . فقالت . ياسيِّدي . ما أعطيتَنِي . يفيضُ على
القيمة . فهالكُ الفاضلُ . ردَّ عليها الخازنُ نقودها . وزجرَ غاضباً : « أمينُ
الخزانةِ عندنا لا يخطئُ » . فحارتُ برهَةً ثم أفادت . آثَرَ الإباءِ فأضاعَ
عَفَافِي .

البُرْفُوعُ جُلْدَتِي . والخمارُ أُمُومَتِي . والقِناعُ لطفَلَتِي .
والحجابُ لسيِّدَتِي . والهودجُ هودجِي .
أخذتُ المقودَ . وسرتُ بسيَّارَتِي . على الطريقِ السَّيَّارِ . ثم أضأتُ
النورَ . يَمَنَةً . وإذا بي أركُنُ .

لقد ركنتُ على الشِّمالِ بمركبي .
النفسُ عودٌ . والظنونُ نيرانٌ . يَدُبُّ لَهْيُهَا . استقامَ العودُ أم لم
يستقم . ولولا قيظُ الشكِّ . لما عُرِفَ بردُ اليقينِ .

في يدي اليمنى وردةٌ . وعلى شفتي السفلى تَسمرةٌ . وفي مسامعي
لحنٌ نجى . قد عانتُ شعراً رقيقاً . والكفُّ تلامسُ بأناملها . مسّاً
شجياً . ففاح أريجٌ . وعادوني عَبَقٌ . وساورتَنِي مَبَاخِرُ الشَّرقِ . في
قلبها عود . وعلى المشارفِ جِرةٌ . الخوفُ من الحبِّ . كالخوفِ على

الحبيب . كارتعاشة البرد الصقيع . كالحمى في شدة القيظ . أحببتُ
خَوْفَكَ . أحببتُ جَمْرَكَ . عشقتُ قَيْظَ هَمَّاكَ . مثلَ ليلِ هادىء . مثل
الظلمة في السكون . يَحَارُ القلبُ . يطول السُّهادُ . ليس القادم
كالمرتحل . ولا يومي يُشبهُ يوما من أيام أمسي .
إذا زُكِّلَ العرشُ . واهتزَّت الأرضُ . بِجِبَالِهَا . وهوى البناءُ .
فَقِفْ . صامدا . وقلْ . في صَمْتٍ . وفي جَلَدٍ . إِنِّي هنا .

شَهْسِي

هَبْ نَسِيمٌ . وأنا على سفح الجبل . أطوف بالوادي . وأهل الربع
نيامٌ . فتعطّرتُ به . وفتحتُ جوارحي . طالبا . هل من مزيد . وغمرتني
رائحةٌ . حرّكتُ سواكني . فنقلتني مما كنتُ فيه . وأخذتُ تجرّني . حتى
ظننتُ أنني . أحيي زما مضى . وأمعتُ في الرحلة . متخطّيا لحواجز .
متساميا . كأنّ الجسم قد خفّ مني . وإذا أنا . كحلّمٍ شاردٍ . أرفلُ في
حللٍ . فعرفتُ أنني صادق .

طائرٌ يروقه البحرُ . وطائرٌ يحسد السمكة . وهي تسبحُ .
وتقولُ . مَنْ لي بمجدٍ . أو بسحرٍ . أو بقدرٍ . يأخذني . من الماء . إلى
عنان السماء . فيَهوي الطائرُ . برقًا صاعقا . ومن أعماق البحر .
يأخذها . ويخلقُ عاليًا . ومُفاجرا . قنصًا شهيا .

خلوتي . كدتُ أخافُك . خلوتي . لولا أنني . أحببتُ ذاتي . منذ
أحببتُ . خلوتي . منذ أسرتُ لي خلوتي . منذ قالت لي في عزلة . للنّعيم
لذةٌ . وفي الحرمان لذاتٌ .

أرتشف من الفنجان جرعةً . جرعة القهوة . حيثُ لا سكرٌ . هكذا

أَتَعَمَّدُ. أَتَقَصِّدُ. كُلُّ الْمَرَارَةِ فِي بِدَايَتِهَا. ثُمَّ تَنْقَشُ. وَقَدْ أَوْصَوْنِي
بِتَرْكِ السُّكَّرِ. وَلَسْتُ مُعْتَلًّا وَلَكِنْ رَوْضُونِي. وَقَالُوا. هُوَ أَفْضَلُ.
وَقَالُوا. سَتَغْدُو الْقَهْوَةُ. حَلْوَةً. بِلَا سُّكَّرٍ. حِينَ تَتَعَوَّدُ. بِهَا
تَأْنِسُ. وَتُؤَالِفُ. تَرَكِ السُّكَّرَ. فَفَعَلْتُ. وَهِيَ ذِي. قَهْوَتِي. بِلَا
سُكَّرٍ.

قَالُوا. مَا أَسْرَعَ أَنْ تَحِبَّ إِمْرَأَةً. قَالَ. إِذْنِ. مَا أَسْرَعَ أَنْ تَنْسَى
النِّسَاءَ. قَالُوا. مَا أَعْجَلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ رَجُلٌ. قَالَ. مَا أَهْوَنَ أَنْ يَتَهَافَتَ
الرِّجَالُ. فَتَحَاكَمُوا. قَالَ الْقِيَمُ. إِذَا عَزَّ عِنْدَ الْمَرْأَةِ حُبُّهَا. أَمْسَكَتُ.
حَتَّى يَطُولَ عِصَامُهَا. فَإِنْ هِيَ أَسْلَمَتْ. هَانَ سَلَامُهَا. يَخَالُونَهَا تَتَهَاوَى.
وَهِيَ لَا تَتَهَاوَى. قَالَ. دَكَّا لِرَجُلٍ حَدِيدٍ. لَيْتَ أَنَّهُ. مِنْ ضِلَعِهَا.
قَالَتْ. هَذَا يَنَادِينِي. وَذَاكَ يَصَافِحُ. وَثَالِثٌ مِنْ أَعَالِي الشَّرُفَاتِ.
يُطِلُّ. مُحَابِيًا. وَأَخٌ لَهُ. عَلَى الْمَرِّ الْأَسْفَلِ. يَشِيرُ مُغَازِلًا. يَرَاوِدُنِي.
وَأَنَا كَمَا كُنْتُ أَنَا. وَأَنَا هُنَا. أَدْعُو وَأُبْتَهِلُ.

أَفْتَحَ كِتَابًا. أَسْتَلَّ وَرْقَةً. أَقْضِمُ أَطْرَافَ الْقَلَمِ. فِي انْفِعَالٍ. فِي تَوَتُّرٍ.
ثُمَّ أَبْحَثُ عَنْ مُعْجَمٍ. عَنْ قَامُوسٍ. وَلِسَانِ الْعَرَبِ. وَقَدْ هَدَّأَتِ
الْخَوَاطِرَ. فَأَقْرَأُ مَتْنًا. وَشَرْحًا. وَحَاشِيَةً. ثُمَّ أَقْتَفِي صِلَةً. تَتْلُوهَا
الصَّلَاتُ. وَأَعُودُ إِلَى الْمَقْعَدِ إِلَى الْأَرِيكَةِ. وَالْقَلْبُ قَوْضَى. وَالنَّفْسُ
سَائِحَةٌ. وَأَسْأَلُ. مَنْ أَنَا. ثُمَّ أَسْتَدْرِكُ. وَكَيْمَ السَّوَالِ.

على المكتب . نظرتُ إلى صورتي . وفي المِرآة . تأملتُ صورتي .
وعلى الهويّة . وجوازِ السّفَر . وفي المحافظ . رُحْتُ أَقْلَبُ . أَقْرُ
هذه . وأستنكرُ هذه . ثم جمعتها . وأعدتُ على المنضدة توزيعها .
وترتيبها . وقلتُ . لو أختارُ من بينها . أو لَوِ أسوي بينها . وانتبهتُ إلى
السّاعة . في معصمي . فوجدتها تتحرّكُ . فلملمتُ ما تَنَائَرَ . وطويتهُ .
طيّاً رفيقاً .

وكنْتُ أحبُّ الموسيقى . كنتُ أعشقُ الألحانَ . واليومَ أريدُ أن
أغنيَ . فلا صوتي يطاوعني . ولا الألحانُ ترتادني . فأعود إلى الأنغام
أُسمِعُهَا . فيأبى السّمعُ . وتتمرّدُ . على إرادتي أذني .

العشقُ . إذا سَمَا عَالِيَا . العشقُ . إذا علا مسرعاً . وإذا حلّق
زاهياً . وارتقى صُعْدًا . فأشفقوا عليه . وعَلّقُوا التّائم . وأقروا له .
سورة الإخلاصِ . وسورة الفَلَقِ .

من المكتب . خرجتُ إلى الصالون . ثم إلى الشُّرْفَةِ . دَخَلْتُ المطبخ .
وأطللتُ على الحديقة . ثم نَادَى المنادي . إلى البهو . ثم إلى غرفة في
الطابق العلوي . فامتلأتُ بالفضاء الرَّحْبِ . وانقبضتُ نفسي فجأة .
فَالضِّيقُ ضِيقُهَا . والرّحابةُ من إحساسها . وما الكونُ إلا مرآة . على
صفحاتها . تنعكس صورةٌ . هي صورةٌ من نفوسنا .

في الغابة . في الجوّ . وعلى متن البحار . أحسُّ بوحدي . وبين أركان

المصحة . حيث أَسْتَشْفِي . في الْمَعْبَدِ . وبين أركانِ المَحَابِسِ . هي
عُزْلَتِي . كأنه الهدوءُ . كأنه السَّكُونُ . لستُ بخائف . ولستُ بِمُرْتَجِفٍ .
وسألتُ عُزْلَتِي . عن هُويِّهَا . عن مَنبَتِهَا . عن مَرْتَعِهَا الفسيحِ . أَمِنْ
حَوْلِي هِيَ . أمْ مِنْ جُودِ مَنْ حَوْلِي . ومن حينٍ إلى حينٍ . في نفسي أراها .
أحادثُهَا . أكادُ أَحْبُّهَا . سَيَّانِ عِنْدِي اليَوْمَ . الثَّرَى وَالْقَمَرُ .

إِسْمَامُ

قالت لِي اللغة : أنتَ العاشقُ الجديدُ . لا أقولُ لك إلا ما قاله من
قبلك ابنُ الحسن :

«اقعدُ في ثُقبِ الإبرةِ ولا تَبْرَحْ ، وإذا دَخَلَ الخيطُ في الإبرةِ فلا
تُمْسِكْهُ ، وإذا خَرَجَ فلا تُمَدِّهُ ، وافرحْ فإني أحبُّ الفرحانَ ، وقُلْ لهم
قَبْلَنِي وَخَدِي وَرَدَّكُمْ كُلَّكُمْ . فإذا جاؤوا معكَ قَبَّلْتُهُمْ وَرَدَدْتُكَ ،
وإذا تَخَلَّفُوا عَذَرْتُهُمْ وَلُمْتُكَ ، فرأيتُ الناسَ كُلَّهُم بَرَاءً » .

قلتُ لِلَّغةِ :

أيتها الضادُ . مفتاحُ قلبِكَ بيدي . وأزرارُ الفساتينِ . وسِدْرَةُ
الْمُنْتَهَى . بيدي : أنت . بيدي . أساؤُك التي قد خَطَّهَا القائلونَ .
أوصافُك كما حَرَّفَهَا المُداعِبونَ . بيدي . أوتارُ قلبِكَ . بالنغمِ الحائرِ .
بيدي . ريشَةُ العَرْفِ . وآلَةُ الدَبِّكَ . ومِعْطَفُ العُودِ . وتساييحُ
القانونِ . بأناملي . مَفَاتِحُ الآهاتِ . ولذائذُ الأنينِ . بأصابعي . مَقَاتِنُ
اللفظِ . لو أمْسَكْتُ . ما قالوا بكِ شعراً . ولو تَمَنَّعْتُ . ما سَمِعَ صوتُ
لشيطانِ الخليلِ . إيقاعُك بيدي . وتفعيلاتُ الوزنِ . وأساريرُ الضنَى .

أَمْوَاجُ الْبُحُورِ . وَصُورَةُ الْفَنِّ . وَتَمَثَالُ الْهُوَى . كُلُّهَا فِي مِقْبَضِي . لَكَ
الْغَابَاتُ . فَانْسَرِحِي . لَكَ الْأَعْشَابُ . فَتَوَسَّدي . لَكَ مَا شِئْتَ . لَكَ مَا
أَشَاءُ . أَقَمْتُ سَجْنًا . وَشَيْدْتُ قَبْرًا . وَدَفَنْتُ بَنَاتِكَ . لَهْجَاتِكَ . دَفَنْتُ
الْحُزْنَ الَّذِي . أَحْبَبْتَهُ رَوْضَتَهُ . أَقْسَمْتُ يَوْمًا . بِالْوَفَاءِ لَهُ . بِالْعُمْرِ . كُلِّ
الْعُمْرِ . مَا فَاتَ مِنْهُ . وَمَا هُوَ آتٍ . بِالصَّبْرِ . بِالْجَوَى . سَفَهْتُ أَحْلَامَكَ .
وَقَهَرْتُهُ . أَنْبَتُكَ زَهْرَةً . وَأَيْقَظْتُكَ رَيْمًا . وَدَفَنْتُهُ . بِأَسْمَائِكَ الَّتِي
نَطَقُوا بِهَا . وَبِأَوْصَافِكَ الَّتِي غَازَلُوهَا . لِأَحْفَرَنْ مَغَارَةً . بِئْرًا سَحِيقًا .
وَلِأَدْفِنَنَّ فِي غَيَابَاتِهَا . عَقَارِبَ التَّارِيخِ . وَأَشِيدَنَّ مَقْبَرَةً . شَاهِقَةً .
عَمَلَاقَةً . وَلِأَرْسُمَنَّ رُخَامَةً . وَلِأَكْتُبَنَّ . هَذِهِ مَدْفَنَةَ الزَّمَنِ .
فَلْتَمُتْ . يَا أَيُّهَا التَّارِيخُ . وَلْتَعِشْ . يَا خَالِدًا . يَا سَرْمَدِي الْكَوْنِ .
أَيُّهَا الْكَلِمَةُ . أَرْهَقْتُكَ . صَوَّرْتُ حَبَّكَ . وَمَشَاعِرِي .
يَافِئْتِنِي . مَا حِيلَتِي . أَنَا الظَّالِمُ . مَا حِيلَتِي . أَنَا الظَّالِمُ . مَا حِيلَتِي . وَأَنَا
الْوَفِيُّ . فَلَنْ أَخُونُ طِبَائِعِي . وَلَنْ أُغَيِّرَ قَبْلَتِي . سَأُظِلُّ دَوْمًا . رَائِحًا أَوْ
غَادِيًا . طُولَ الْبَحَارِ . وَعَرَضَ الْمَدَى . لَكَ ظَالِمًا . سَأُظِلُّ . وَإِذَا
الدُّنْيَا تَخَايَلَتْ . فَكَفْتُكَ مَظَالِمِي . وَأَوْجَبْتُ نِي طَاعَةً . فَلْتَعْرِفِي . أَنِّي
أَنَا . قَدْ خَيَّبَ الْأَمَالَ فِي ظُلْمِهِ . وَإِذَا مَا الظُّلْمُ صَاحَ مُخَاصِمًا . وَأَتَاكَ
بَعْدِي . وَاشْتَكَى . مَتَاوَهًا . بِأَنِينِهِ . فَتَبَتَّلِي . بِاسْمِ الْهُوَى .
وَتَرَنَّمِي . بِاسْمِ الْجَوَى . وَقُولِي . بِمِلِّهِ جَوَانِحِي . بِالْأَحْلَامِ . بِالْأَرْقِ .

بالفاء بالجميل بالراء . بكلّ فجرٍ باسمٍ . بالفجرِ مُفردًا . بالفردِ مَجْموعًا .
وبكلِّ رَنّةٍ هَاتِفٍ . بالموعِدِ . بالألواحِ . بالخطِّ الفاتِنِ . بالسَّحَرِ
الحرامِ . قولي . ولا تَتَرَدَّدِي . بُورِكتَ لي . يا ظالمي . إني لظُّلمكَ
قد أتيتُ شَفِيعَةً . لا تَسْتَهِنُ بِشَفَاعَتِي . بُورِكتَ لي يا ظالمي .

إِدْقَامٌ

في تجايدِ الوجودِ الآتي . سيُضاجعُ التاريخُ لُغتي . ستَحْمِلُ . ثم
تَضَعُ . سيكْبُرُ الوليدُ . وينحرفُ . فتُناجيه .

أيها الشعرُ . ما أنتَ إلا ذَكَرٌ . وكل الذكورِ سَوَاسِيَه . أيها اللفظُ
اللّعينُ . أوهمتني . أنك مفردٌ . ألا سواكَ يَمَثلُكَ . فإذا أنا . كالغرةِ
المخدوعة . آمنتُ أنك كاملٌ . قدستُ لفظُكَ . ولثمتُ بالشفةِ الحرّى .
حرُوفُكَ . وعلى الأوزانِ . رقصتُ يومي وليلتي . ورحتُ أُمْتَصُّ
رحيقَ الكلماتِ . وأقولُ . هو البعثُ الجديدُ . هو الفنُّ . هو الخلودُ . تمثالُ
من الإغريقِ . كآلهة . يعجزُ الفنُّ عن نَحْتِهَا . لها يسجد التائهُ . لها .
ولظلمها . وتحت غَمَامِهَا . يستظلُّ فؤادٌ كسيحٌ . وفي رحابها .
تَحْتَمِي . تَلْكُمُ الأُنثى التي . كانت تَظُنُّ أن الرجالَ . وكلَّ الرجالِ .
قد عاشوا مرةً . ثم مات جميعُهُم . وما الدنيا . في هذه الأزمانِ . إلا .
بأشباه الرجالِ . مَلَأَى . فإذا أنا مخدوعةٌ . بالشعرِ . وما الشعرُ . ما هو
إلا زائغٌ . ما كان إلا مُزَيِّفًا . دوسًا لمنشورٍ تَقَرَّطَ عِقْدُهُ . طَعْنَا
للجواهرِ صُنْعَتَ . بمَعسولِ الهوى . أقسمتُ بالشعرِ . كم كان أخرى به .

أَلَا تَزُوغُ أَبْصَارُهُ. أَلَا يَخُونُ الْعَهْدَ. عَهْدَ وَفَائِنَا. عَهْدَ الْأَمَانِي.
 يَتَقَاطَرُ عَطْرُهَا. نَتَسَاقَى أَرْيَحَهَا. نَمُوتُ وَنَحْيَا. بَيْنَ نَهْرٍ وَجَدُول.
 تَهَادَتْ نَفُوسُنَا. كَتَبْنَا لِيْلٍ مُفْرَدُوسٍ. أَبَدِيَّةَ الْأَزْمَانِ. خَالِدَةَ الْهَنَاءِ.
 شَرِيقَةَ الْأَنْسَامِ. صَرْفِيَّةً. حَتَّى الْجُنُونِ. مَجْنُونَةً. كُنْتُ أَنَا. مَجْنُونَةً.
 مَازَلْتُ أَنَا. فَبِمَنْ أَجِنُّ أَيَا تُرَى. أَبَالُ عُرُوقَ تَهْتِكِ عَرْضُهُ. أُمُ بِالنَّشْرِ
 وَالْجَفَاءِ مَجَازُهُ. يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ. هُبُّوا مَعِيَ. وَتَمَرَّدُوا. يَا أَقْدَارَ
 الْكُونِ. تَبَدَّدُوا. يَا أَسْمَاءَ الشَّعْرِ. تَفَرَّقُوا. فَلَسْتُ قَائِلُهُ نَكْمُ. مَا كُنْتُ
 أَقُولُهُ. وَلَكِنِّي. سَأَهْمِسُ هَمْسَةً. بِهَا أَهْتِكُ الْأَعْرَاضَ. سَأَقُولُهَا.
 سَأُبُوحُ بِسِرِّهَا. سَأَقُولُهَا وَاللِّسَانَ مُمَزَّقًا. سَأَقُولُهَا. وَالْفَوَادُ
 بِدِمَائِهِ يَتَقَطَّعُ. سَأَقُولُهَا. وَلِلْأَقْدَارِ مَغْفِرَةٌ. سَأَقُولُهَا. وَلَسْتُ
 بِرَاجِعَةٍ. سَأَقُولُهَا. وَلَسْتُ مِنَ اللَّوَاتِي. أَنْوِجُ وَأُنْدَمُ. سَأَقُولُهَا. كُلُّ
 الرِّجَالِ سَوَاسِيَةٍ. سَأَقُولُهَا. حَتَّى أَنْتَ يَا وَلَدِي.

نَبْرَةٌ

... وإذا القائل هو القائلُ:

« ... أنتَ صاحبي . فإذا لم تجدني فاطلُبني عند أشدهم عليَّ
تمرُّداً . وإذا وجدَني فلا تعصه . وإن لم تجدني فاضربه بالسيف ولا تقتله
فأطالك به وخلّ بيني وبينك . ولا تخلّ بيني وبين الناس . وخاصمني .
وتوكّل لهم عليَّ . فإذا أعطيتك ما تريد فاجعله قرباناً للنار . وقف في
ظلّ فقيرٍ من الفقراء . فسأله أن يسألني . ولا تسألني أنت فأمنع
غيرك بمسألتك فتكون ضداً لي وأخذك » .

فناديت لغتي . زفرةٌ جاءت إلى القلب . زفرةٌ كالسّاحرة . أينها
الحلمُ . والذاكرة . إيه . يا ذاكرة . وأنا القادرُ . ليلاً ونهاراً . أنا القادرُ .
بسائطُ العمرِ في مفرّثي . والمكانُ القصيُّ يا أيها الناسُ . ألا فقولوا .
كما قال الذي قال . أنا العاشقُ . أنا الوجدُ . أنا الزّمنُ . أنا الرّوحُ متّحداً .
أنا الحاضرُ . أنا الذي . على غير أهله كتمّوه . حرّمّوه . أنا العشقُ
المُبّاحُ . أنا الزّمنُ المباحُ . أنا الخالصُ من دون العباد . القلبُ تغريدُ
ومرجلُ . يشدّو . عن شوقه لا يرحلُ . وبسائطُ الخضراءِ . في وجدِهِ .

تَهِيمٌ وَتَرْقُلٌ. وَنَعِيمُهَا. وَضَفَائِرُ زَهْوِهَا. تَبْنِي الْبَلَابِلُ أَيُّكَهَا. لَتُقِيمَ
يَوْمًا. لَتَعُودَ دَهْرًا. وَكَأَنهَا عَنْ رِيَاضِ الْوَجْدِ لَا تَرَحَّلُ. وَالْفَجْرُ
وَضَاءٌ. كَانَ شُعَاعُهُ. سَوَاحَةً. تَتَهَلَّلُ. هَلَّا أَبْنَتَ الْقَوْلَ. أَمْ هَلَّا
جَلَوْتَهُ. أَيَا قَلْبُ. لَا ظَمَمْتُ. جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ حَوْلَكَ. وَلَا أَنْتَ.
بِخَالِصِ شَهْدِهَا. حَتَّى الثَّمَالَةِ. تَتَصَبَّبُ. تَنْسَابُ مَيَّاسًا. تَتَسَلَّلُ.
مَتَهَادِيَا عَشَقًا فُرَاتًا. وَمَغْنِيًّا نَشِيدَ عَوْدَتِنَا. فإِلَى مَتَى. هَاذِي الرُّبُوعُ.
تَتَبَاعَدُ. وَإِلَى مَتَى. هَاذِي الْقُلُوبُ. بِرَضَابِ شَدُوكَ تَتَقَطَّعُ. وَشَهْوَةُ
الذِّكْرِ. لِقَلْبٍ مُقْفَرٍ. وَالشُّمُوعُ. تُؤَاكِلُ الشَّهْبَ لُعَابًا. وَنَارٌ تَقْذِفُ
الْفَتَائِلَ حِمَمًا. وَتَهْلِلُ النَّخْلُ. وَارْفَ الظِّلِّ. وَسِرُّ الْكُونِ حِرْقَةً.
تَطْوِي حِرْقَةً. وَيَهْتَفُ أَهْلَاتُهَا. لَتَدْخُلُوا الْأَفُقَ الرَّحْبَ. مُخْضَبِينَ. غَيْرَ
خَائِفِينَ. وَالْفَتْحُ الْقَرِيبُ. وَكُلُّ شَيْءٍ مُرْتَبٌ. مُنْضَدٌ. مُوقَّعٌ
تَفْصِيلًا. فَإِنْ أَنَا مِتُّ. فَسُبْنِي. وَإِذَا رَحِلْتُ فَنَادِنِي. تُعَانِقُ الرُّوحُ
صَلِيَّهَا. وَالطُّهْرُ أَوْزَقَ. وَالْمِيَاهُ جَوَادِبُ. وَالنَّهْرُ أَتُونُ وَمِرْجَلُهُ
الدَّمُ. وَتَرْتَوِي النَّفْسُ فِدَاءً. وَمَوْجُ الْبَرَارِيِّ. رِمَالُ الْجَوَارِيِّ.
لِمِثْلِهَا. عَنَّتِ الذِّكْرَى. وَدَاءُ الْوَجْدِ نَسِيَانٌ يَزُولُ. أَرَوْضُ الْعِشْقِ
أَلْوَانًا. وَتَسْكُنُ النَّفْسُ. وَالْقَلْبُ طَائِعُهَا. إِنِّي أَنَا السَّاكِبُ. فَافْتَحْ لِيَدِي.
ثَغَرَ الشَّرَابِ. وَاصْبِرْ عَلَى جُرْعَةٍ. وَاكْفُرْ بِالَّذِي سَكَنْكَ. وَافْزَعْ.
وَقُلْ. بِاسْمِ الْكَوَاكِبِ. دُجَاهَا اللَّيْلِ. وَنُورُ وَاجِفِ صَمَدٍ.

إِمَالَةٌ

أيتها الفصحى : سعيدٌ . وبحبك أكثر . أعطيت . ولكن لك أكثر .
في البدء كانت كلمةٌ وأكثر . واليوم أكثر وأكثر . عاتقيني . دثريني .
صوري على جسدي . رسوم اللفظ . ووَشَحِيهِ . بلوحات فنك . ثم
أرسلني . على معاطفي . وبين جوانحي . خائل ليلك . إنني . ملكتك
نفسي وأكثر . أعانق شوقا . فإلى غيومك رحلتني . وإلى محيطك ملجئي .
طريقي إليك مفازةٌ . بها الأشواك تُلْسَعُنِي . عهدي إليك . غاضبة أو
راضية . لبيك أيُّهَا التَّعَبُ . لبيك لبيك . يا أيها اللَّهْبُ . دَعِينِي ونثرَ
العُقُودِ . أنا حرٌّ . وحرَّةٌ كلماتي . كلُّ قَيْدٍ بِجُرْحِهِ . وكلُّ جُرْحٍ
بِنَبْضِهِ . فَمَتَى النِّزَالُ . فالمرَّكحُ جاهزٌ . وكذا الأبطالُ .
والأضواءُ . والقادمونَ لِيَنْظُرُوا . مهرجانَ اللفظِ جابوا صوبَهُ . يعانقون
الوزنَ . والإيقاعَ يُرْقِصُهُمْ . إلَّا اليتامى . هاتوا اليتامى . دُرُّرُ الألفاظِ لها
تتهادى . نثرًا وألوانه شتى . كما صاغ صائغ . أداعبُ الأوراقَ . أنا
اللاعِبُ . أحرَّكُ الأحجارَ . كأنها العاجُ . من رُخٍّ ومن ملكٍ . وهاذي
الأميرةُ . تموتُ وتحيا . والبيادقُ حولها . تطوفُ بفارسِ الشِّطرنجِ . حتى
تُذْيِبُهُ . لِتَقُولَ عندئذٍ . كِشٌّ وَمَاتَ . فإنَّ تحيا . فَبِمِمرَّتِي . وإن تلهو .

فبلعبتني . وإن أنت أمسكت العنان . فقل لنا . أي الفوارس . ذاك الذي .
 غابته العُشبُ . أم هذا الذي للفظه ظالمٌ . طوّفت . فلتقرؤوا . باسم
 الدعاء . صلاتها . وسهادها . نهارها الليل . وبعض أسائها . إلى
 العدالة . ومملكة العشق . مطلوبةٌ . ومن غيري . أنا الطالبُ . أنا
 الطالبُ . فاسأل العرافَ عنا . ثمّ قولي . إنها الأقدارُ فينا . ربّه تلهو
 وأفلاكٌ تدورُ . والذي نفسي بَلاها . والذي عنا يغيبُ . أن ذا الروحَ
 ملاكٌ . أن ذا طيفٌ حبيبٌ . عائدٌ يوما يغني . سائحا بين الدروبُ . في
 رياض الأفق يدعو . وينادي . ويؤوبُ . هو ذا الحلمُ الموجلُ . هو ذا الماءُ
 الزلالُ . هو ذا الأيكُ الفريدُ . هو ذا الحبُّ العنيدُ . فهل أتاك حديثُ
 القلاعُ . شاخات . صامدات . أقفالها الصلْدُ . و الرواسي الشاهقات .
 الصخرُ أولّه . والبرجُ قبلتهُ . وفُتاتُ القلوبِ . حباتٌ على الأرض .
 طيورٌ عابراتُ . وإذا البرقُ هَمًا . وإذا اللحظُ مداً . رجفةُ الأقلامِ
 بياضٌ ناصعٌ . وفتحٌ قريبٌ . وإذا المَحَاجِبُ ترتوي . وإذا العساكرُ
 غازياتُ . والحِصنُ مرتعشُ . والأسوارُ . والسهمُ فاترٌ . والأقفالُ
 هاويةٌ . والنفسُ دَعِيَّةٌ . والعصيانُ نَجِيَّةٌ . والطيرُ مالِكُهُ . نسورٌ
 خاطفاتُ . شعاعٌ . والجمرُ . مِقْبَضُهُ اليَدُ . والأناملُ باسماتُ . ولذةُ
 اللحظِ . قلوبٌ واجفاتُ . والآثافُ فوق الأنا . والشعرُ فاتنُ اللفظِ
 والمعاصمُ واثقاتُ . والإسمُ مكرمٌ . والمَحْتَدُ واسماتُ عامداتُ

زاهيات . والكل مزدحم والضماير في الأنا . هو الأنا . فلتكوني وليكن .
 حرفٌ وحرفٌ . حيٌّ لا يموت . أجهشتُ باللفظ صاحتُ : أقولُ
 فأندمُ . ولا أبوحُ . فيشتكي الوجعُ . ليلى سهادُ . والنهارُ . كمنُ
 سلا . وكمنُ شدا . سلوا قلبي غداةً . سوا قلبي أصيلاً . لا تسألوني .
 ولا تفعلوا . فلو سألتهم . سأكذبُ . ولو فعلتم . سأكرهُ . أن أقولَ
 لكم . ما قد قلتهُ . وعرفتهُ . وطويتُ صفحاتِ الهوى . ونسيتُ . أن
 أقولَ . إني عريّةٌ . عريّةٌ . عريّةٌ .



مكتبة جامعة القاهرة
 قاهرة

تضمين

جَلَسْتُ . وَثَبْتُ فِي الرَّمْلِ الذَّهَبِيِّ . بِأُظَا فَرِي . وَأَقَمْتُ عِمَادًا .
وَنَصَبْتُ شَمْسِيَّتِي . كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبِي . وَجَدِّي . فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ . فِي
الصَّحْرَاءِ . فِي شَوَاطِئِ الْعُشْبِ . وَفِي الْمَرَاعِي . وَعَلَى ضَفَافِ الْعَيُونِ .
جَلَسْتُ . وَنَصَبْتُ . وَانْتَظَرْتُ كَمَا انْتَظَرَ مُوسَى . قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ إِحْدَاهُمَا .
نَصَبْتُ وَاسْتَلَقْتُ . وَقَلَبْتُ لِلشَّمْسِ : عَلَيْكَ . بِمَفْرَشِي أَبْدَلِي مِنِّي
الْغُلَافَ . فَأَبِي أَسْمَرُ . وَجَدِّي أَسْمَرُ . وَالْقَارَةُ السَّمَرَاءُ أُمِّي وَجَدَّتِي .
أَبْدَلِي جِلْدَتِي . اصْبُغِيهَا . أَغْرَابِيَّةً . ذَاتَ أَنْوَارٍ إِذَا انْكَشَفَتْ . حُمُ
الْغَمَامُ . وَضَاعَ كُبِّي . وَبَعْضُ قَلْبِي . وَتَاهَتْ الْأَنْظَارُ . وَنَادَى الطَّيْفُ :
يَا أَسْمَرُ يَا أَسْمَرُ . هَلْ يَأْمَنُ الْبَحْرَ رَاكِبٌ . هَلْ يَنْزِلُ النَّهْرَ إِلَّا مَغَامِرٌ هَلْ
يَعْلُو الْجِبَالَ إِلَّا مَكَابِرٌ . بُحُورُ النَّفْسِ مَظْلَمَةٌ . أَنْهَارُ الْقَلْبِ غَائِمَةٌ .
جَدَاوِلُ الْخَضِرَاءِ تَبْتَسِمُ . شَوَاطِئُ الْأَنْسِ فِيهَا جَنَاتٌ مِنَ الْهَوَى . فَاتِنَةُ
الرِّيَاضِ . سَوَاحَةٌ . تُغْرِي . مِنْ بَنِي عُدْرَةِ جَدِّي . مِنْ قَيْسٍ . مِنْ دِيَارِ
الرَّبْعِ . عَشِقْتُ نَفْسِي يَوْمَ عَشِقْتُ كَلِمَاتِي . يَا فُصْحَايَ . هَذَا غِنَاءٌ .
تَهْوَى . أَهْيَمُ بِحَبِّهَا . تَحْتَالُ . أَصْبُو بِلَهْوِهَا . بِغَرَامِهَا . فِي مَرْتَعِ اللَّفْظِ .

فِي مَغَازِلِ اللَّحَنِ . فِي كُلِّ أَغْنِيَّةٍ . هِيَ نَفْسِي . هِيَ نَفْسِي . وَاضِحُ
 اللَّحَنِ . أَعْزَفُ . أَقْوَدُ التَّخْتَ . وَأَمْضِي . شَادِيَا . شَادِيَا . لَكَ يَا عَرَبِيَّةً .
 أَيْتَهَا الْفَصْحَى . لِسَانِي وَجَنَانِي . أَهْدِيْتُكَ رَوْحِي . وَهَلْ قَلِيلٌ . أَهْدِيْتُكَ
 أَنْفَاسِي . ذِرَاعِي وَمُبْسَمِي . وَهَلْ قَلِيلٌ . مَا كُنْتُ أَحْسَبُ . أَنْ قَدْ
 غَفَلْتُ . وَلَقَدْ نَسِيتُ . أَلْفَاظُ الْآخَرِينَ . عَلَامَةُ عِيَهُمْ . عَلَامَةُ جِنْسِهِمْ .
 كَفِّي . ذِرَاعِي . صَدْرِي وَأَنَامِلِي . وَكُلُّ مَا فِي جَسَدِي . شَهَادَةُ
 حُبِّي . وَتُرْجَمَانُ عَوَاطِفِي . لَا شَيْءَ فِي جَسَدِي . لَا شَيْءَ فِي لُغْتِي .
 يُحَرِّكُهُ الْهَوَى . مَا لَمْ يَكُنْ . مِنِّي الْفَوَادُ . هَائِمًا . بِالْحُبِّ قَدْ نَبَضًا .
 الْجِسْمُ حَمَالٌ لَذَاتٍ بِلا أَمَلٍ . وَالْقَلْبُ إِذَا أَحَبَّ . هَامَ فِي عَشِقِهِ
 الْجَسَدُ . نَفْسِي فَلْتَسْتَجِبْ . يَا لَفْظُ . أَنَّى مُنِيَّتِي . بَأَنْتَ . فَجَادَتْ . ثُمَّ
 هَامَتْ . فَتَشْرَبَتْ صَفْوَ الرِّحْقِ . رَحِيقَهَا . فَلْتَصِفْ لِي . يَا مَشْرَبِي .
 وَلِتَقُلْ : هُوَ الْفَجْرُ بَارِعًا . هُوَ ذَا مَشْرَبُ الْأَلْفَاظِ عِنْدَ سُبَاتِهَا . أَجْهَشْتُ
 بِالْبُوحِ . كَنَجْمٍ يَتَوَارَى . بَيْنَ الْكَلِمَاتِ يَسْتَتِرُ . فَيَكْدُ لِي الْحَدِيثُ .
 مِنْ عَبَثِ الْوَكِيدِ . ثُمَّ أَسْأَلُ : حَالِي كَحَالِكَ . أَنْتَ لِي .
 وَأَنَا لَكَ . الْخُلُقُ كَلِمَةٌ . وَالْوَجْدُ كَلِمَةٌ . وَالْمَلْبَسُ
 وَالْأَلْوَانُ . وَحَرَكَاتُ الْيَدِ . كَلِمَةٌ . وَاللَّفْظَةُ الْمَكْتُومَةُ . وَالتِّي تَصِلُ إِلَى
 الشِّفَاهِ ثُمَّ لَا تُنْطَقُ . وَقَوْلُنَا : إِنِّي مُمَسِّكٌ . كَقَوْلُنَا : لَا
 أَعْرِفُ . وَإِطْلَالَةُ الْوَجْهِ . وَانْسِيَابُ اللَّحْظِ . كَلِمَةٌ . كَأَنَّمَا الْعَيْنُ تُغْمِزُ .

وهي لا تَغْمَزُ. و الأنامل اليمنى على أظافر اليسرى. و الساعةُ على
المِعَصَمِ تُطَلُّ من ثُخُومِ الثَّوبِ. و العينُ تُسْرِقُ الوقتَ. و الجيدُ إذ
ينحني إلى الكَتِفِ. و ابتسامةٌ يَقْطَعُهَا الحَفَقَانُ. و وَجَنَةٌ يَتَوَالَى عليها
شحوبٌ و احمرارٌ. و عينٌ تُسْرِقُ لَتَكَادُ تَنْدَمِعُ. و الجَفْنُ مُظْلَةٌ.
و فراديسُ النعيمِ. جادت بِخِلِّ يَقْرَأُ الكَفَّ. و يُصْغِي إلى النَّمْلِ : بكلِّ هذا
السحرِ. أَسْرَتَنِي. سَلَبَتَنِي. كَفَرَاثَةٌ. إلى النورِ. أَنَّى صَرَفْتَ السَّيْرَ.
إلى كَبَدِ السَّمَاءِ. في الفضاءِ الرَّحْبِ. قد غزوتَ الكونَ. حَتَّى مَلَكَتَهُ.
تُحَرِّرُ القَيْدَ. سُودًا و بَيْضًا. إلى السماءِ مَعْرِجُنَا. إلى الشهادةِ نَطْلُبُهَا.
شهيْقًا زَافِرًا. سبيّةِ الوجدِ. في المعشوقِ خالصةً. و مع الحبيبِ
خُلُودَهَا.

إِفْصَاحٌ

كلما سمعت شعرا أو مشيتُ راجلاً، كلما أنشدت أغنيةً أو أكلتُ
خبزاً. كلما ارتديت ثوباً أو احتسيتُ شراباً. كلما وضعت على ناظري
مجهرًا. رأيتُ اللغةَ. حَضَرَتْنِي اللغةُ. فاجأَتْنِي. أَفْسَدَتْ مِشْيَتِي
وغنائِي. نَغَّصَتْ خُبْرِي وشرابي. أَيْقَظَتْنِي بِالْكَوْنِ بِالنَّاسِ بِالْغَافِلِينَ عَنْهَا
بِالْهَاتِكِينَ أَعْرَاضَهَا.

رَأَيْتُهَا مَعَ نُوحٍ. رَأَيْتُ مَرْكَبَهُ. تَصَوَّرْتُهُ يُخَسِّتًا مَلَكِيًّا. فِي الْمَزَادِ
الْعَلَنِيِّ. يُبَاعُ وَيُشْتَرَى. بِأَعْلَى ثَمَنِ. فَاقْتَنَيْتُهُ. وَرَصَفْتُ عَلَى
مَدَارِجِهِ، مِنْ قَوَامِيسِ الْكَلِمَاتِ، مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ. حَقِيقَةً وَمَجَازًا. وَفَاضَ
التَّنَوُّرُ: ارْكَبِي مَعِيَ أَيْتَهَا اللُّغَةَ سَاحِمِيكَ . . .

يَا كُلَّ حَاضِرِي أَيَا قَدْرِي . . . أَشْكُوكَ قَسْوَةَ الْعِيِّ. فَمَنْ سِوَاكَ
يَبْعَثُ الدِّفْءَ فِي أَوْصَالِي. فِي الرَّأْسِ سِوَالُ. تَشْتَظُّ الِذَّاكِرَهُ. فَمَنْ
يَغْسِلُ عَنِ قَلْبِي التَّعَبُ. أَسْبَحْ فِي بَرَكَةِ الْجَسَدِ. أَرْسَلُ إِلَيْكَ شُعْلَةً مِنْ
دَمِي. وَشَهْقَةً نَسِيَتْهَا ذَاتُ مَسَاءٍ عَلَى صَدْرِي.
جَاءَ نِي بِهَا وَدَعَاَهَا. فَاتَّتْنِي. مُتَخَفِيَّةً. تَرِيدُ فُجَاءَتِي.

هَاتَفَتْ . بَيْدَ الْمِرْنَاءِ . فَدَوَتْ صَوْرَةً . تَنْحَرُ الشَّرِيَانَ . كُنْتُ أَرَى
الْأَيَّامَ . أَعْدَهَا لَيْلًا بَلِيلٍ . تَطْوِي نَزِيْفَهُ فَأُبْتَسِمُ . وَ الْيَوْمَ هَا أَنَا أُبْتَسِمُ .
لَا تُطْلُ بَعْدَ الْيَوْمِ قِصَائِدُكَ . فَخَيْرُ السَّحَرِ نَفْثَةٌ . مَعْقُودَةٌ . لَا
تَمْلِكُ لَهَا . ذَاتُ الْهَوَى . أَنْ تَتَعَوَّذًا . رُشَّهَا رِذَاذَا . مُمَطَّرًا . مَتَهَا طَلًا .
وَ اخْتِمَ عَلَيْهَا بَصْمَةً . أَمِّيَّةً . هِيَ لُغَةُ الْهَوَى . عَارِيَّةَ الْحُرُوفِ .
وَ الْحَرَكَاتِ . وَ الْكَلِمَاتِ . فَهَمَّهُمْ بِهَا . مَتَلَكَّتَا . وَ الْعَنَ دُعَاةَ الشَّعْرِ .
وَبَعْضَ الْفَصَحَاءِ .

كُنْ كُطَيْفِكَ هَاوِيًا . وَ كَظْلِكَ . لَا تَبْتَعِدْ . لَادَعًا . هَاجِرًا . هِبَاتِ بَلَا
نَدَمٍ . صَمْتُ خَشُوعٍ وَ الصَّدْرُ أَوَّاهُ . وَ الدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي . فِي نَشْوَةٍ
وَهَّاجَةٍ . فِي غَمْرَةِ الْأَشْجَانِ وَ دَعَتْهَا . لُغَتِي . وَ فِي غَفْوَةٍ كَصَفِيرِ هَمْسٍ
وَ كُنُورِ السَّمْعِ أَحْتَاجُهَا أَدْعُو لَهَا . كَالْعَبْدِ يَنَادِي وَ يَنَادِي : أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى
بِرَبِّ الشَّعْرِ وَ لِلْحَبِّ آلِهَةٌ هَلْ مِنْ طَيْفٍ يُجَدِّدُ لِي عَهْدًا وَ عَهْدًا وَيَقُولُ
لِي : مَا نَارُ لَفْظٍ يَتَجَارَحُ يُتَقَاطَرُ . خُذْنِي إِلَى حِضْنِ الْكَلِمَاتِ . لَادْفَاءً
فِي غَيْرِهِ . مَلَأَ الْجُفُونَ . وَ فِي الْأَحْلَامِ . أَحْيَا وَ تَحْيَا . لَنَا الْوَفَاءُ . لَنَا
الدُّنْيَا . وَ كُلُّ السَّمَاءِ .

فِي الْكُونِ مَسَالِكُ . لَا يَلِجُهَا إِلَّا وَاحِدٌ . إِلَّا مَرَّةً . إِلَّا سَاعَةً . لَيْسَ
يَدْرِي مَتَى هِيَ تَأْتِي . إِنْ كَانَتْ سَتَاتِي . فَقَدْ يَنْقُضِي الْعُمُرُ وَلَا تَأْتِي .
وَ الْحَمْدُ أَلْفُ يَوْمٍ تَأْتِي .

بَـثْ

اصْطَفَتْ الْجَماهيرُ واستطالت الطوايرُ. تَزاحموا. ثم دخلوا. التَّفُؤا
بالْحَلْبةِ أَدواراً. تقول: كَعْبَةٌ. ضَجيجٌ. صراخٌ. أصواتٌ كالاستنفارِ.
دَقَّتِ النواقيسُ. صَعَدَ المتبارزانِ. على الحَلْبةِ: الحبُّ واللغةُ. تعاَقَبَتِ
الجولاتُ. قال: أَثْمَرْتُ عَشِقا. قالت: وضعتُ شِعْراً.

مَنْ زارعُ الوردِ. من صانع البهاءِ. مَنْ خالِقُ الفتنِ؟
لولا يَ ما كنتَ تحيا. ما كان شاعراً.
لولا يَ ما كان سحرًا.

بعد نزول المطرِ. بذرٌ. نباتٌ. زروعٌ. إثمارٌ ومَخاصِبٌ. حصادٌ
ومَغَانِمٌ. زال الجفافُ واختفى الجَدْبُ وعاد المطرُ يساقي الأرضَ
فترتوي.

لقد أَلَمَ الطائفُ وذهبَ بها ذهبٌ حتى أضناني وأُنْهَكَ قُوائِي وأنا
الضعيفةُ في نفسي. أقولُ عِبْراً. أسمعُ صوتَكَ في السماءِ يوقظُ أحلامي.
ذاهلةً. صامتةً. حائرةً.

حين تَسْكُبُ في مسمعي كلمات الدَّفء أسارع إلى المهد الوثير فأراك
معي نركض على صفحات المطر فَيَنْبُتُ البحرُ أحباقا فتبتسم المرأةُ
ويضحك الكتاب ويتأوه الوثيرُ.

ستتشكل كلماتي حين تمسح بيديك جبينني وتثر نظراتك على جسدي
نَدَى وإلهامًا.

فَلَمْ يَكُنْ كتابٌ ككتابها. ولم يكن حبٌّ كحبّها. وشاع الخبرُ بين
الأقوامِ. فصارتْ مَضْرِبَ الأمثالِ فحسدها العقلاءُ وتمنوا هذيانها. وكان
أولُ الحاسدين كبيرُ العقلاءُ وقد أنكر نفسه وعَقَلَ العقلاءُ.

اليوم آمنتُ أن الكلام يقتلني إذا ما اللفظُ قَلَانِي. أو هَجَرَ. اليومَ
أتلو على جميلٍ وعلى المجنون وليلاًهُ والبُشِيناتِ فاتحةً. وغداً.
باكراً. سأرحل إلى كلماتي. وسأركنُ منها في زاويةٍ. وسأدعو شاهداً
عدلاً. وسأتلو على الكرسيِّ خطاباً:

الحبُّ أَغْنِيَّةٌ. يجمعها قلبٌ تائهٌ. يضع لَحْنَهَا نبضٌ قاهرٌ.
يؤدِّي أنغامها صوتٌ عاشقٌ. يروِّضُ تَخْتَهَا معلِّمٌ ماهرٌ. ثم يُفْشِي
سِرَّها لفظٌ ماكرٌ.

عشقتُ الحسناءَ فوهبتُها كلماتي.
عشقتُ اللغةَ فوهبتُها حُبِّي وهيامي.
ضاعَ حُبِّي يوم ضاعت كلماتي.

رَين

ذاتُ الأشعار تكَلَّمَتْ فجرا وطلبتُ من جنود الليل أن يَسْكُتُوا
فأَصْغَى لها الجمعُ ثم انحنوا فقالت مخاطبةً أنيسها : ما الذي تريدهُ مِنِّي ،
مالذي جئتَ تطلبُه . فالكونُ أرحبُ من فضائي . ويدُكَ الطُّولى . والكلُّ
حولك : يُحَلِّقُونَ . ويتسابقُونَ . ولكِ يُغْنُونَ . نشيدَ الحربِ وأشعار
الجنون . إلا أنا . وأنتَ على العرشِ كمالكِ الأرضِ والسماءِ . توزَّعُ
صكوكُ الغفرانِ . وتُعْطِي الجوازاتِ . وتَخْلَعُ الثوبَ على من تشاء . ثم
توقِدُ النارَ . وتَقْتَطِعُ الشعورَ . فَتَنْثُرُهَا سَعِيرًا فالدنيا بِخُورٍ . والعطرُ
مُخْذَرٌ . ويحترقُ العودُ ويتفاحُ المسكُ ويلتذُّ الخليلُ . وعندها يهْلَلُ
الحفلُ من حولكَ وتتقاطعُ الأذرعُ على النُّحُورِ . فينحني الجيدُ وتصغي
المَسَامِعُ والقلبُ يَتَهَدَّجُ والأناملُ تَزُرُّقُ . خوفٌ وحرقةٌ وانتظارٌ .
والكلُّ غائظٌ والكلُّ مَغِيظٌ والكلُّ يَسْتَبْصِرُ القضاءَ . صولةٌ منك يا
عاصرَ القلوبِ . يانافثَ الأرواحِ . وتقفُ أنتَ سلطانًا عتيدا . يصرِّحُ
بالأحكامِ . وتقفُ أنتَ جبارًا زعوقًا . يَعْصِفُ بالحسانِ . ويطولُ بين
وقفَتِكَ والكلامِ . سكوتٌ وسكوتٌ . كأنها النُّبْلُ تصيبُ القلوبَ .
وتقولُ كلُّ لاهثةٍ . وتقولُ دون أن تقولَ . وأقولُ . ألا إنكَ الحَكَمُ .

ليتكَ لَا تَعْدُلُ. وكيف يَعدُلُ الحَكَمُ. إني أنا الأُنثى التي لم تَفُزْ
بالسَّبْقِ وَلَا حَطَّمْتُ رِقْمًا بِالْقِيَاسِ. فكيف لي بالفلاح أَطْلُبُهُ. وكيف لي
بتاج العرش أَحمِلُهُ. كُنْ ظالماً وخذني . كن ساحراً. كن سُلَيْمَانُ . كن
قاهراً لمن سَبَقُوا. كن مُنْصِفاً للتي تَلْعَنُ العَدْلَ وخذ بيدي . كن
جائراً. وكن لي فَأَنْتَ أَنْتَ العادلُ.

لو كنتُ أَعْدُلُ مَا عَشَقْتُ. لو كنتُ مُنْصِفاً مَا جَلَسْتُ عَلَى
العرشِ. فَأَنَا بِجَوْرِ الحُبِّ أَحْتَكِمُ. وَأَنَا مِنَ العَدْلِ أَنْتَصِفُ. فالعدلُ عدلي.
وحكمُ السماءِ. وَلَا يَعْرِفُ العَشَقَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ. إني قد حَكَمْتُ عَلَيْكَ
وَحَكَمِي نَافِذٌ. وَحَكَمِي قَاطِعٌ. لَا يُسْتَأْنَفُ. وَالْحَاكِمُونَ وَالْقُضَاةُ
وَالْمُرَافِعُونَ فِي مَمْلَكَةِ العَشَقِ وَالَّذِينَ بِقَانُونِ السَّمَاءِ يَنْطَقُونَ. إِلَيْكَ
سَيَقُولُونَ. إني قد حَكَمْتُ وَحَكَمِي قَاطِعٌ. لَا يُسْتَأْنَفُ. وَالْهَائِمُونَ
فِي رُبُوعِ الْوَجْدِ وَحُمَاةُ الْعَرِينِ. وَأَهْلُ الرِّبَاطِ. وَحِرَاسُ الشُّغُورِ سَيَتَلَوْنَ
ظَهِيرَ الحَكَمِ وَحَيْثِيَّاتِ القِطْعِ. وَسَيَقُولُونَ هَذِهِ اسْتَقَالَتْنَا مِنَ الشَّعْرِ.
وهذه إجازتنا. مِنْ حَقُوقِ الْكَلِمَاتِ. فَكَلَامُنَا الْيَوْمَ كَلَامٌ جَدِيدٌ.
وَمُعْجَمُنَا الْيَوْمَ قَامُوسٌ جَدِيدٌ. سُلْطَانُ الشُّوقِ كَعِشَاقِ الْمَرَايَا. وَأَصْوَاتُ
الْمُحِبِّينَ كَرِسَائِلِ الْمُرَاوِدِينَ. مِنْ فَاتِنِينَ. وَمُفْتُونِينَ. حَوْلَكَ قَامَتِ
مَلَامِحُ الْجَرِيمَةِ. وَمِنْكَ قَدْ صَدَرَتْ. فَيَالِقُ التَّهْمَةَ. وَعَلَيْكَ حَيْثِيَّاتُ
الْإِدَانَةِ. عَنْكَ قَدْ حُرِّمَتْ ظُرُوفُ التَّخْفِيفِ. إِلَى قَضَاءِ الحُبِّ

فَاسْتَسْلِمِي . عَلَيْكَ قَدْ حَكَمُوا . حَبًّا مُؤَبَّدًا . فَادْخُلِي الْقَلْعَةَ وَجُرِّي
أَغْلَالَ قَيْدٍ يَحُوطُ بِكَ . إِلَى الْأَذْقَانِ . وَعَلَى الْمَعَاصِمِ . وَالْخِصْرِ
مُسْكَلٌ . وَقُيِّدَتْ الْخُطَى . وَتُحَسَّبُ الْأَنْفَاسُ . أَفَلَا تَتَبَتَّلِينَ . أَفَلَا
تَتَأَوَّهِينَ . لَا يَعْرِفُ الْحَبَّ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ . وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ بَكَى

حَرْفٌ

الكلامُ اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنى وحرفٌ ليس كسائر الحروف
وحرفٌ يُدركه الحسُّ وحرفٌ لا تؤديه الصَّفةُ. في الليلةِ البدرَاءِ تَغِيبُ
الكلماتُ. أنا الحرف الذي فرَّ من قيدِ الكلامِ. ريشةٌ ذهبيةٌ. ترسمُ ألفاظي
بألوانِ الشوقِ، على صفحاتِ الألمِ. تُقَيِّدُ أنفاسي ثم تُطْلِقُهَا. كما
الآهاتِ. في الهوائِ الطَّلَقِ. على سَجَلَاتِ الألقِ. نادني أركبُ إليك.
نادني. أيا حُسْنِي أيا مُنِيَّتِي. أشدوك أغنيةً. أراقصُ إيقاعاً يَخْطِفُ
الأبصارَ برقاً. فأنا الصوتُ إذا الصوتُ هَمَسَ. نادني وأصرُخْ. فزمانُ
اللفظِ وَلَّى واحتجبَ. لك الروحُ، لك الجسدُ العتيقُ. لك مني ما
يَنْبُضُ وما قد سَكَتَ. هُزِّنِي بِصِيَّاحِ صَوْتِكَ. فأنا الفجرُ إذا الليلُ
غَسَقَ. اسْكُبِ السَّيْلَ على جَسَدِي لِتَسْتَلَّ من غَمْدِي سيفُ الأرقِ.
وتَغْسِلِ أوتارِي العطشى. وترسلني. طيراً يُحَلِّقُ في الأفقِ. خُذْنِي أنا
الطائرُ. خذني على الرِّبوةِ الخضراءِ. ضُمَّنِي وأصرُرْ. لا تبتعدْ عني.
وليكنْ لَيْلُكَ كَأَسِي. إني على سَفَرٍ. في ليلةِ الغسقِ. إني إلى رحلةٍ
من وراءِ الشَّفَقِ.

عندما عرفتُكَ كانَ مِنْ حَوْلِي فَرَاغٌ . كَالهُوَّةِ السَّحِيقِ . أَتَجَلَّى عَلَى
حَافَةِ مِنْ بَثْرٍ . أُمْدُ يَدِي . أَنْسَاحٌ إِلَى الْأَعْمَاقِ . كَأَنِّي إِلَى الْخُلُودِ . بِلَا
قَرَارٍ . بِلَا زَمَنِ . بِلَا حَدُودٍ . مَدَدْتُ يَدِي . أَمْسَكْتَنِي مِنْ ذِرَاعِي .
تَعَلَّقْتُ بِجِسْمِكَ . أَحْبَبْتُ نَجْدَتَكَ . هَمَمْتُ بِمَلَأَةِ الْفَرَاغِ . وَحَدَّثْتُ
نَفْسِي . بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِي . حَتَّى انْطَمَسَ الْفَرَاغُ . جَاؤُوا إِلَى الْبَشَرِ
السَّحِيقِ . رَدَمُوهَا . فَارْتَدَمْتُ . عَلَى الْأَرْضِ مِنْ جَدِيدٍ . وَضَعْتُ
أَقْدَامِي . صَلْبَةً وَجَدْتُهَا . صَخْرِيَّةً . شَكَرَا لَكَ أَبَا الْكَارِمِ . شُكْرًا . قَدْ
امْتَلَأَ الْفَرَاغُ . شُكْرًا وَحَمْدًا . يَا مُوقِدَ الْأَنْوَارِ . يَا مَطْفِئَ الشَّمُوعِ .
يَا مَالِيَّ الْفَرَاغِ .

ذَاتَ سَفَرٍ طَرَقْتُ بَابَ الْكِبْرِيَاءِ . تَوَسَّلْتُ ذَاتَ أَلَمٍ مُنَاجِيًا : كَيْفَ
الْكِبْرِيَاءُ ؟ مِنْ وَرَاءِ السَّتَارِ . ذَاتَ بَهْجَةٍ . نَسِيتُ الْأَلَمَ . قَفَلْتُ رَاجِعًا .
وَفِي يَدِي . بَاقَةٌ أَزْهَارٍ . كَأَنَّهَا . أَزْهَارُ عُرُوسٍ . تَخَضَّبَتْ أَشْعَارُهَا . لَيْلَةَ
عُرْسِهَا . بِأَوْجَاعِ الْبَهْجَةِ . وَحِنَاءِ الْأَلَمِ . فَهَلْ تَتَوَاصَلُ الْأَرْوَاحُ دُونَ
الْأَجْسَادِ بَعْدَ أَنْ التَّحَمَّتْ الْأَجْسَادُ ؟ هُوَ التَّأْلَهُ أَوْ إِذَانُ الْوُدَاعِ . فَبِكَيْ
السَّائِلِ .

كَيْفَ تَسْتَقِرُّ النُّفُوسُ عَلَى النُّفُوسِ .
سُئِلْتُ الْأَفْلَاكَ فَلَمْ تُجِبْ .
وَسُئِلَ الْإِنْسَانُ فَقَالَ : إِنْ سَكَنْتُ .

ثم سئل آخرى فقال : إذا احتدمتُ .

وَعُضِبْتُ مِنْ انْتِحَالِهِ السَّيِّئُ .

فَسَأَلْتُ الْأَفْلَاكَ أَدَمَ فَقَالَ :

السَّاكِنُ عَبْدٌ ، وَ الْمَسْكُونُ عَبْدٌ ، وَ الْعَبْدُ عَلَى الْعَبْدِ .

وَسَأَلْتُ الْأَبْرَاجَ حَوَاءَ فَقَالَتْ : إِذَا السَّاكِنُ مَسْكُونٌ فَصَحْوٌ

وَاسْتِسْقَاءٌ .

وَإِذَا السَّاكِنُ سَاكِنٌ وَ الْمَسْكُونُ مَسْكُونٌ فَمَوْجٌ يَمُورُ .

فَادْهَمْتُ السَّيِّئُ حَتَّى الرَّمِيمِ وَأَطْبَقْتُ الْأَفْلَاكَ وَأَقْفَلْتُ

الْأَبْرَاجَ وَاحْتَمَى حُرَاسُهَا .

فَقَالَ الْكَاهِنُ : إِعْصَارٌ نَاسِفٌ .

وَقَالَ الرَّاهِبُ : عَارِضٌ مُمَطَّرٌ .

وَقَالَ السَّاحِرُ : غَيْثٌ نَافِعٌ .

وَقَالَ السَّاكِنُ : رَجَّةُ الزَّلَازِلِ .

وَقَالَ الْمَسْكُونُ : بَرْدٌ وَسَلَامٌ .

سَمَاعٌ

حَدَّثَتْ ذَاتُ الْأَشْجَانِ قَالَتْ : رَأَيْتُ لَيْلَةً فِي الْمَنَامِ أَنِّي - وَنِسَاءٌ
مِثْلَاتُ - قَدْ اجْتَمَعْنَا حَوْلَ آسِرِ الْقُلُوبِ مُحَلِّقَاتٍ وَلَمْ أَكُنْ قَدْ انْفَرَدْتُ
بِهِ ، فَتَذَاكُرْنَا الْمَحَبَّةَ وَأُورِدَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَا حَفَظَتْهُ . قَالَتْ الْأُولَى :
حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ قِيَامُكَ مَعَ مَحْبُوبِكَ بِخَلْعِ أَوْصَافِكَ . وَقَالَتِ الْآخَرَى : أَنْ
تَتَكَلَّمَ كَلَامَ عَاشِقٍ فَنِيَّ فِي عَشْقِهِ وَخَرَجَ عَنْ أَوْصَافِهِ إِلَى الْمَحْبُوبِ . وَقَالَتْ
الثَّالِثَةُ : مِثْلُكَ إِلَى الشَّيْءِ بِكَلِمَتِكَ ثُمَّ إِشَارُكَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَرُوحِكَ
وَمَالِكَ ثُمَّ مَوَافَقَتُكَ لَهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، ثُمَّ عِلْمُكَ بِتَقْصِيرِكَ فِي حُبِّهِ .

ثُمَّ انْبَرَتْ مِنَ الْجَمْعِ وَاحِدَةً كُنَّا نَنْظُرُهَا كَالْخُرْسَاءِ - وَكَانَ الْإِسْرُ
يَرْقُبُ - فَقَالَتْ : مَا يَسِيطِرُ عَلَى الْوَجْدَانِ مِنْ آيَةِ الْمِثَاقِ حَتَّى يَكُونَ
الْوُجُودُ لِلْمَحْبُوبِ . عَبْدٌ ذَاهِبٌ عَنْ نَفْسِهِ مُتَّصِلٌ بِذِكْرِ مَحْبُوبِهِ ، قَائِمٌ
بِأَدَاءِ حَقُوقِهِ ، نَاطِرٌ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ ، أَجْرَقَتْ قَلْبَهُ أَنْوَارُ هَوِيَّتِهِ وَصَفَا
شُرْبُهُ مِنْ كَأْسِ وَجْدِهِ ، فَإِنْ تَكَلَّمَ فَبِالْمَحْبُوبِ ، وَإِنْ نَطَقَ فَعَنْ
الْمَحْبُوبِ ، وَإِنْ تَجَرَّكَ فَبِأَمْرِ الْمَحْبُوبِ ، وَإِنْ سَكَنَ فَمَعَ الْمَحْبُوبِ .

وَهَمَّتْ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَخَشِيتُ ، وَأَنَا بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ هَتَفَ

الآسِرُ وقال وكأننا لم نكن خَالِصَاتِ : هَلَّا كَفَفْتُنَ عَنْ المحبَّةِ لَا
تَسْمَعَهَا النَّفْسُ قَتَدَعِيهَا . المحبَّةُ هَبَّةٌ لَا يكتسبها العبدُ بالمنازلة وما
لا يخضع للكسب يُخَشَى من المذاكرة فيه حتَّى لا تطلبه النفس أو تدَّعيه .
فأفقتُ وشفَتاي تردَّدان : قد قال كلُّ شيء .

ويروى أنَّ ذاتَ الأشجان قد أخذها في عَسَقِ الليل أرقُّ ذهب لها
بنصفه وإذ هي بين فكرٍ ومَنامٍ تَسَلَّلَ إليها بين الستائر طيفٌ قالت خِلْتُهُ
مَوْلى السلامِ رسولَ الكلمات فناجيته .

يا شاعرا قد تغنَّى بشعره الشعراءُ . يا ساحرا . يا قاتلي . يا مالكا .
قد تَسَلَّى بظِلِّه الأمراءُ . يا صائغا باللفظ أحلى الكلمات . يا ناثرا
عَقدا فريدا . يا ناقشا . يا ناحتا . بين ألماسٍ وجُمانٍ . سأرتادُ لك .
سأنسابُ لك . وأذيعُ يوما على المآذن . وأشقُّ الصُّفوفَ . والقائمين .
وأدعو الجمعَ ومن معي . تُوبُوا معي . هذا ملائكةُ الهائمين . وبعدها يوما
فيوما . ستأتيني . سيفُك الأرضُ . والخناجرُ تختفي . والشعرُ منك .
مدحورٌ . وأنا التي . ستشدُّ على معاصمِك الوثاق . وعندها سأهمسُ
لك . يا فارسي . يا أسيري . هذا جوادُك في يدي . حصنُ الوغى . ومرمى
النَّزالِ . عليك بي . عليك بمن قد أسرك . فإن كنتَ يوما طاعنا . وإن
جاءك الظُّمأُ . أو شدَّك الوجدُ إلى القتالِ . فهاذي أنا . فيها النزالُ . وفيها
المُقَامُ . الشعرُ بيتي . والسَّجونُ قصائدي . وأنتَ هنا سجينٌ

الكلماتُ. فِدَاكَ الرُّوحُ تَزْهَقُهَا. فجرًا. وُصْبَحًا. ومساءً. و الرُّوحُ
منسلخٌ. والبرازخُ تَنْتَقِي. و الحصنُ مُنْفَتِحٌ. يثوبُ بِحَكْمِهِ. و يطلبُ
لكُ. أن تُعيدَ القتلَ دوماً. يا قاتلاً. يا زائراً. يامقيماً في أضلعي. إني
فِدَاكَ وقد حَكَمْتُ عَلَيْكَ. إني فِدَاكَ و الحَكْمُ حَكْمٌ مُؤَبَّدٌ : أنك القاتلُ
يوماً. أنك القاتل دوماً. إني فِدَاكَ وعلى المآذنِ صِيحَتِي : غفرتُ لكُ.
غفرتُ لكُ.

فَاصِلَةٌ

قالت : أنا اللغةُ يتكلمونني ولا أُبْثُّ أحداً شكّاتي . أنا اللغةُ . أنا
الأنثى . إننى كَحَوَاءَ تَشْتَدُّ وتُمعن في الشدة . تُقاومُ نفسها وتُبدي غيرَ
ما تُضمِرُ . تقولُ عنها أبيعُ نافرُ . تقولُ عنها فضيلةٌ خالصةٌ . يحادِثها
الشیطانُ فلا تسمعُ . ويتغافل عنها الأملاكُ فتدعوهم فيُخجلهم
دعائُها . حتى إذا ما هفا حسُّها ورقَّ منها الشجى وخفَّق القلبُ نابضاً
مُتدفِّقاً وحادَتْتُها النفسُ على وجلٍ وشرأبٍ منها الجيدُ مُقاتناً وطالَ
انتظارُها فلم تدرِ أساعيةٌ أم مطلوبةٌ أراغبةٌ أم منسيةٌ وجاءها اللحظُ
بهمةٍ ذهبتْ شدَّتْها كأن لم تكن وتسارعت منها الخطى تُسابقُ المناديَ
وما هي إلا ومضةُ البرقِ إذ تتكشفُ ، تنهاوى ، تُسلمُ النفسُ وما
بالنفسِ ، تتعرى ولا يُخجلُها العُرى . فما أسرع أن تتعرى التي
اشتدَّت واستمسكتُ . ما أعجلَ أن تتكشفَ ، تنهاوى . وإذا تجلَّى
المغمورُ الذي كان على الأنثى فما أعسرَ أن يحتجبَ وما أبعد أن
يتوارى ، تذهبُ الأزمان وتأتي الدهور وتتكايف جبالُ الأغطية وفي
لحظةٍ ، في همسةٍ ، بغمزةٍ الطُرفِ - إذا شاء سيدها - تسيلُ الجبالُ والأقنعةُ

وشامخُ الرّواصي كأنها الثلجُ فاجأهُ لهيبُ شواظٍ .

أيتها اللغة ، أسراري ومكامني ، ماذا فعلت بالذي قلتُ إليك ، هل
تلوته وهل رتلتُ حرفهُ ترتيلاً أم هل قلتُ : أصابه الشعرُ . ضمّيه إلى
صدرك ضمّةً تُذيب مدادَهُ فيتسللُ إلى القلب الرفيق بين أحناء الدّفء
الوديع مُطلاً على الجمرِ تَفَنّي الأكوانُ ولا تخبُونِ رائهُ .

أيتها الكلماتُ : متى توكّلتِ على الحيّ الذي لا يموتُ وسمّيتِ
باسم ربّ العزة و الملكوتِ وطويتِ المكتوبَ ودعوتِ بالقهرِ والجبروتِ ؟
إن للكلام جلالاً وعليه مهابةٌ كعظمة السلطان يركبُ الراحلةَ
يخترقُ المفازاتِ ويَجُنُّ عليه الليلُ فلا يتزوّدُ ولا ينام حتى يكون له
صوت به بُحّةٌ تعترّيها حَشْرَجَةٌ فَيَتَأَبّى ثم يتألّه ثم ترتجف
شفتاهُ مردّداً :

المدادُ عَصِيٌّ واليراعُ على الإباءِ وينبلج من ثغرها النورُ وتَسألُ مَنْ
أتاها : كيف أنتَ قبل أن تراني . فيقولُ : كما كنتُ أكونُ ، أسعارُ
ومهورُ ، أبتاعُ من الهوى وأبيعُ ، صفقاتُ بلا خُسرانُ ، وكلُّ بُائعٍ
ويشتري ، وربّاتُ الخدورِ . ومن الكلام ما سَحَرَ ، ومن السحر ألوانُ
تصدّقُ وألوانُ تُدَارِي ، ويجلو الشعرُ أَسْتارَ النفوسِ ، حدّثيني يا ابنةَ
النورِ عن سِرِّ البلاءِ ، واكتمي السّرَّ عن ماضٍ تَوَلَّى ، واصدحي بها
هوأتُ . قالتُ : أنساكَ يوماً فلن أراكُ . قالَ : هكذا قالتِ حواءُ ، وهكذا

روى الرواة عنها ، كل البنات كأمهن ، إلا التي بأئس الروح قد آمنت .
 قالت : بل سأتلو صفائح الذكرى وأقول : دَعْ مَنْ تَلَا وَهَاتِ مَا هُوَ آتٍ ،
 وسيقدم الضيف وتُرصد الآهات . قال : قَلِمَ اللفظ على اللسان
 والصدر قد ضاق بها لا يطاق . قالت : أَحَبُّكَ حَبِيبُنْ ، حَبَّ الْهَوَى
 وحباً على قَدَرِي ، لعبتُ له ولا أرتوي وقلتُ : سحابٌ عابرٌ وغيثٌ لا
 يَنِي . فامتدت السماء وتقاطر الصَّخْوُ وانفجر الغمام . قال :
 وشأنك مع الذين عرفوك . قالت : كنتُ أصادفُ الرجالَ ولا رجالاً ،
 أتملئُ ويتساردون ، أحبُّ ألا يأتي الرجلُ فيأتون ، وكنتُ في نفسي
 أتلهى وأقولُ للواحد منهم : سَأَسَاكَ مَا ذَكَرْتَنِي ، وسألقاك ما
 نَسِيتَنِي ، أَفَلَا تَفْعَلُ . قال : كَذَا كُنَّ مَعِي ، تشتدُّ الأبيَّة النَّفُورُ يوماً
 ثم إذا هي عَهْنٌ مَنفُوثٌ ، يطيبُ فيه المقامُ والوزنُ خفيفٌ ، فَتَزَاوَرُ
 النفسُ عنها ، ويطول الجهدُ يدافعها ، ويشتدُّ العناءُ . والمَلَلُ .
 وروائح الجسد . حتى لَقِيتُكَ . قالت : لَقِيتَ الشَّعْرَ وَمُسْتَلِينَ الْكَلَامَ .
 قال : وَفَعَلَ الْفَاعِلُ يَحْفَرُ الْأَجْرَامَ خُدُوداً فَتَسِيلُ النَّفْسُ سَيْلَانِ الْهَوَى
 كأنها الغيثُ الرَّذَاذُ . قالت : أَفَلَا تَخْشَى الْفِرَاقَ . قال : يوم لا تتلهفين ولا
 تتوجعين ويوم تحبوا في ديوانك نيران كسرى . قالت : قَلْبٌ وَجِلٌ
 وَمَعَاصِرٌ مِنْ دَمِي . قال : هُوَ الْعَشْقُ وَهُوَ الرَّدَى . قالت : فَأَنَا الْفَانِيَةُ .
 قال : حَمَلْتُ لَكَ حِمْلًا وَشَقَّقْتُ عَلَيْكَ ثُمَّ رَفَعْتُ الْمَرَافِعَ وَسَافَرْتُ .

نُوحٌ

أَيُّهَا الْمُتَكَلِّمُونَ . أَيُّهَا السَّامِعُونَ . يَا سُعَاةَ الْبَرِيدِ . الْكَلِمَاتُ لِعَبْتِي .
وَعُيُوبِي . أَعَابَتْ بِهَا الْأُنثَى . وَأَقُولُ لَهَا إِنِّي مُعَابَثٌ . فَتَقْبَلِ عِبْتِي . ثُمَّ
تُذَمِّنُ عِبْتِي . وَلَا أَنْفَكَ أَقُولُ لَهَا إِنِّي أَرْتَبُ الْكَلِمَاتِ . وَأَسُوِّي مَقَاتِنَ
الْلفْظِ . وَلَا شَيْءَ مِنْ وَرَاءِ الْلفْظِ . وَلَا تَفْتَأُ تُمَعِّنُ فِي قَبُولِ الْلفْظِ . وَحُبِّ
الْلفْظِ . حَتَّى تَنْسَى صَاحِبَ الْلفْظِ . وَإِذَا أَنَا بِالْكَلِمَاتِ . آتِي إِلَى ذَاتِ
الْجَمَالِ . وَأَقُولُ . وَقَعْتُ فِي شِرَاكِ لَفْظِي . فَصَدَّقْتُ نَفْسِي . فَلَسْتُ
بِعَابَثٍ . فَتُقْسِمُ هِيَ أَنِّي عَبَاثٌ . وَإِذَا اللُّغَةُ بِصَاحِبِهَا . وَإِذَا الْلفْظُ بِقَائِلِهِ .
وَاصِفٌ وَمُوصُوفٌ . كَفَاتِنٌ وَمُفْتُونٌ .

أَقُولُ مُسَائِلًا . هَلْ أَنَا آثِمٌ . فَتَقُولُ . لَا . وَجَلَالُ الْلفْظِ . أَقُولُ . لَا
أَعْرِفُ الْهُوَى . تَقُولُ . لَذِيذُ كَلَامِكَ . جَمِيلُ خِدَاعِكَ . فَاتِنٌ يُغْرِي .
وَتَمْضِي الْأَيَّامُ . وَأَطْلُبُ إِجَازَتِي . وَأُمْسِكُ . فَتَبْدَأُ الرِّحْلَةَ الْأُخْرَى .
مَقَامَاتٌ . شَدُوٌّ رَحِيمٌ . أَسْتَنْفِرُ ثَمَالَةً مِنْ كَأْسِ الْعِزَّةِ . فَلَا أَفْلَحُ فِي
دَحْرِ الْكَلِمَاتِ . أَصِيبُ مَقَاتِلَ الْإِبَاءِ . فَتَتَرَامَى . أَسْخُو بِقُتَاتِ الْلفْظِ .
مَهْتَرًا لَوْنَتَهُ الشِّفَاهُ . مَتَرَاخِيًا بَلَلَهُ الرِّضَابُ . وَأَمْضِي .

ويوما . مَلَكْتُ الْكَلِمَاتُ . فَقَصَدْتُ طَيِّبَ الذَّاكِرَةِ . وَطَلَبْتُ الدَّوَاءَ
لِلذَّاكِرَةِ . فَأَعْطَانِي وَصْفَةً : فَتَاكَةً . وَصَفَةً لِمَحْوِ الذَّاكِرَةِ . ارْتَحْتُ مِنْ
الذَّاكِرَةِ . غَيْرَ شَيْءٍ وَاحِدٍ . ظَلَّ فِي الذَّاكِرَةِ . أَنَّ طَبِيبِي قَدْ عَرَفَ يَوْمًا .
بَعْدَ مُصَابِهِ فِي حُبِّهِ . كَيْفَ تُمْحَى الذَّاكِرَةُ . وَلَمْ يَنْسَ . مِنْذُ ذَاكَ
الْيَوْمِ . مَوْتَ الذَّاكِرَةِ .

أَخَذْتُ قَامُوسِي . وَكُلَّ مُعَاجِمِي . وَسَافَرْتُ بِهَا بَعْدَ الْعِلَاجِ .
مُسْتَجِمًّا . فِي غِيَابِ الذَّاكِرَةِ . وَيَوْمًا . وَالشِّتَاءُ بَثْلَجِهِ . فِي أَوْجِ عَزَّتِهِ .
وَنَحْنُ فِي غُرْفَةٍ . عَلَى الْهَضَابِ شَاهِقَةٍ . مِنْ جِبَالِ الْأَرْضِ . وَفِي تَلَالِ
السَّمَاءِ . وَنَوَافِذِ الْبُلُورِ تَحْجُبُنَا . وَدَفَاءُ الْبَيْتِ نَصْنَعُهُ . بِالثَّلْجِ نَهْزَأُ .
بِالْأَمْطَارِ . بِالسُّحُبِ . نَرْنُو إِلَى الْكُونِ . نَرْنُو إِلَى كَبِدِ السَّمَاءِ . وَنَقُولُ . فِي
صَمْتٍ . لَا شَيْءَ بَعْدَ الْيَوْمِ يَفْضِلُنَا . إِنِّي . وَلَغْتِي . فِي الْمَمْنَى .
الْقَصِي . وَلَا عِثِّي مِنَ الْأَنْوَاءِ يَقْتَرِبُ .
أَيْتَهَا الْكَلِمَاتُ .

لَيْسَ فَضِيحَةً حُبِّي . لَيْسَ فَضِيحَةً عَشْقِي وَشَبَقِي . حِينَ أَخْلُو .
حِينَ أُرْكَنُ . حِينَ أَغْدُو . وَحِينَ أَرْوَحُ . عَلَى لِسَانِي . وَبَيْنَ الشَّفَاةِ . أَنْتِ
وَحَدِّكَ فَضِيحَتِي .
رَدَّتْ فَقَالَتْ :

لَا تُفْشِ سِرِّي . سِرِّي . سِرَّ لَهْفِي . لَا تَمْشِ عَلَى حَافَتِي . لَا

تَبَحُّ بِمَكَامِنِي . بِجَسَدِي . أَنْتَ جَسِرِي وَمَسَالِكِي .
لَنْ أَقُولَ شَيْئًا . لَنْ أَبُوحَ . فَلَسْتُ بِخَائِنٍ . هَلْ تَأْذِنِينَ بِهِمْسَةً . أَيَا
لَغْتِي . الصَّيْفَ ضَيَّعْتَ الْجَسَدَ . الصَّيْفَ ضَيَّعْتَ الْجُسُورَ .
لَوْ جِئْتُكَ كَامِلًا . مَا أَحْبَبْتَنِي . تَمِّمِي التَّمَالَ . ثُمَّ قُولِي .
صَنِيعَتِي . أَنَا الْفَنَانَةُ . أَتَيْتُ إِلَى اللَّوْحَةِ الْمُثَلَّى . فَعَبَدْتُهَا . وَلَمَّا
اسْتَقَامَتْ . بَعْدَ لَايٍ وَشِدَّةٍ . وَحَسِبْتُ أَنِّي الصَّانِعَةُ . وَظَنَنْتُ أَنِّي الْمَالِكَةُ .
اسْتَوَى الْمَاءُ وَالتَّمَالَ وَرِيشَتِي . وَوَجَدْتُنِي . أُسِيرَةً فَنِّي . وَإِلْهَامِي .
بَلَغْتُ بِهِ النُّهَى . بِالشَّعْرِ . رَوْضَتُهُ . فَيَا عَجَبًا . كَيْفَ اسْتَقَامَ الْلفْظُ . بِيَدِ
النَّحَّاتِ . كَمَعَاوِلِ النَّقْشِ . كَمِبُضْعِ الْجِرَّاحِ . وَإِذَا أَنَا . فِي الْفَنِّ هَائِمَةٌ .
أَحْبَبْتُ فَنِّي . فَعَبَدْتُهُ . نَذَرْتُ لَهُ عُمْرِي . وَأَحْلَلْتُ لَهُ زَمَنِي . فَلَا
فَقَدْتُكَ يَا زَمَنِي . وَلَا حُرْمَتُكَ أَيَا فَنِّي وَيَا أَمَلِي .

مَدِّي

أيها الشعرُ. أيتها الحروفُ. أيها كلماتي . سيأتيكن يوماً . من
يُنْظَفُ القصيدةَ . من يَصْقُلُ البَرْدِيَّ . من يطهر سنم الأqvab .
فقد ضاع مني قلمي الذهبِيُّ . ضاع منِّي . أضعته . ألفتُ نُسْغَهُ .
لوئْتُ مدادهُ . فعدتُ إلى اللّوحِ . يوم كنتُ كالأطفالِ . أخطُ وأمحو .
ويدي مُلَطَّخَةٌ . بالكِلْسِ بالطينِ بالأغبارِ . ومؤدِّي كالعرافِ يقول
مستبشراً . ستَنجَحُ يا ولدي . ستَنجَحُ يا ولدي .

رُحْمَاكَ يَا أبتِي . عَلَّمْتَنِي . وظننتُ أَنِّي ناجِحٌ . فأغدقتُ
بالإكرامِ . وجودك لا ينتهي . وأعطيتُ مؤدِّي . كلَّ السَّخَاءِ . وجئتُ
للعرافِ . هازئاً ومصدّقاً . وعانقتُ قولاً قد بدا . كالنُّبوءَةِ صالِحاً . أنَّ
ابنَكَ ناجِحٌ . فحمدًا . لربِّ العالمينَ . أنْكَ غائبٌ .

كنتُ كالطائرِ . يلزم الأقفاصَ . حتى أَحَبَّهَا . ويوما . خرجتُ
محلّقاً . وهجرتُ المساجنَ . وودّعتُ مساكني . وقلتُ . بلا عودة . فالأفقُ
رحبٌ . وطلقُ . ومشاعري في عُرْسِهَا . زاهيةٌ . بيضاءُ . بأجنحةِ
خفاقة . وركبتُ البحرَ . بحرَ الكلامِ . وأمسكتُ كالملاحِ رايةً مقودي .

وأطلقتُ إنذارا . كأصواتِ المدافعِ حلَّ أمامَها . ضيفٌ أميرٌ . تُدوي
لَهُ . بالأفراحِ صارخةً . ومن لُجَّةِ الأبحارِ . تسَلَّلَ مَرَكَبِي . على
جَنَبَاتِ الشَّعْرِ . وخذوْ صخوره . هَبَّتْ رِيَّاحٌ . واستشاطَ الموجُ .
فالشَّراعَ ممزَقٌ . والعوامدُ فُرِطَتْ . والرَّوَّاسِي تَزَلُّزُ . على الضَّفافِ .
تكسَّرَ زورقي . سأريكَ يا زورقي . سأذكرُ ما حييتُ سعادةً . قلتُ يوما
للورَى . خذوا الدنيا . وهاتوا زورقي .

سأريكَ يا أبتِي . سأريُّ مؤدِّي . سأريكَ يا نفسُ . بلوعةٍ . حرَى .
أنِّي لم أصُنْ . شراعا سابحا . رحماك يا أبتِي . فطفلكَ راسبٌ . في البحرِ .
وفي امتحانِ اللفظِ . طفلكَ راسبٌ . قد حاولَ مرةً . ألا يكونَ مكابرا .
تأنَسَ باللفظِ . وقال لعلني . أكونُ ملاحا على مياهِ النَّهرِ . قبلَ
المُحيطِ . محبا لا يَني . فأحمالُ أرضي . أناختُ أَظْهري . رحماك يا
أبتِي . فطفلكَ راسبٌ .

قد كساني اللفظُ يوما . لوحةً . فنيَّةً . من غابرِ الأحلامِ . جاءت
رسومُها . بعطورِ صوتِ فاتنٍ . فسويَّتها . ونقشتُ لها الألواحَ . من
أندلسٍ . ووشحتُ لها الأليافَ . وأعلَّنتُها . أسطورةَ ذهبيَّةٍ . وإذ أنا
ساجدٌ . لها أنحني . نَزَمَني قلمي . فسَرَى منه المدادُ . فلَطَّخَ ثوبَها .
وراحَ الفنُّ . إلى الإلاه . مني يشتكي . ثم أرسل لأبي . رسالةً مطويةً . قد
خَطَّ فيها : إنَّ ابنَكَ راسبٌ .

أنا الحرف الطليقُ . أنا القصيدة الحرّى . أنا اللفظ والسحرُ . في
موكب الشعْرِ . تألّقَ مولِدي . ثم ضاعت مُهجتي . فتأهَ نجمي .
تأوّهَ الشعْرُ يوماً . واشتكى . متوجّعاً بحنينهِ . يذرف الدمعَ .
وللقصيد أنينهُ . كمهاجر . وكما الغريب . فالأشجانُ داعيةٌ . والنفس
تهفو إلى الأوطان . أوّاهُ ياقْدري . إني أنا الشعْرُ الذي . قد صار متيمّاً .
قد بات معذبّاً . بلا إلف ولا أمل . من ذا الذي بعد اليوم يقولني .
رحماك يا قائلِي . فأنا اليتيمُ . منذ تركتني . وأنا الكسيرُ . يوم ضاع
القَلَمُ .

رَبِّعٌ

جَرَبْتُ دَهْرًا فِي السَّاحَةِ حُطَوْتِي . وَنَزَلْتُ قَاعَ الْبَحْرِ . كَمَحْتَرَفٍ
لِلصَّيْدِ . كَمَا الْغَوَاصِ . يَكْاشِفُ السُّرْجَانَ وَهُوَ أَلْيَقُهُ . يَدَاعِبُ
الْأَصْدَافَ وَهِيَ خَصِيمَةٌ . ضَغَطْتُ عَلَى الْأَنْفَاسِ . وَكُنْتُ بِالْأَعْمَاقِ
مَنَادِيًا . مِنْ بَحْرِ إِلَى نَهَرٍ . فِي لُجَجِ الْأَلْفَاظِ . وَهِيَ عَنِيدَةٌ . وَصَحْتُ فِي
دَاخِلِي . هَذَا هُوَ النَّهْرُ الْمُحِيطُ . وَفِيهَا أَنَا بَيْنَ يَأْسٍ وَيَقْظَةٍ . إِذَا بِالْفَيْضِ .
فَيْضُ السَّمَاءِ . يَجُودُ وَيَسْخُو . تَهَاوَلَتِ الْأَصْدَافُ . وَجَاءَتْ مَحَارَةُ . مِنْ
بَاطِنِ الْأَلْفَاظِ . كُلُّ لَوْءَةٍ الْيَاقُوتِ . لَوْئُهَا لَا يَوْصَفُ . أَلْمَاسُهُ فِي الْمَاءِ .
كَخَاتَمِ الشَّمْسِ . مِنْ سَالَفِ الْأَعْمَاقِ . يَبْزُغُ . نُورُهَا . كَالْكُوكَبِ
السَّيَّارِ . يَعْرِفُهَا الْغَوَاصُ . فَيَنْسَى أَلَمًا . وَتَنْطَلِقُ الْأَنْفَاسُ . وَهُوَ بِهَائِهِ .
وَفَازَ بِالسَّبْقِ . فَازَ الَّذِي قَدْ طَوَى عُمُرًا . كَالْيَاسَنِ . صَامِتًا لَا يَكْشِفُ .
وَقَالَ . هَذَا هُوَ الْوَجْدُ . هَذَا هُوَ اللَّفْظُ . فَلَنْ أُنْسَاكَ يَا قَلَمِي . وَخَطَّ لَفْظًا .
وَصَاغَ حَرْفًا . وَرَاحَ يَنْظُمُ الْمَشُورَ . وَمِنْ أَعْمَاقِ بَحْرِ خَالِدٍ . يَسْتَخْرِجُ
الْأَوْزَانَ . وَأَصْبَحَ صَائِغًا . يَسُوِّي الْقَلَائِدَ . لِيَزِينَ بِهَا . جِيدًا بِحُسْنِهِ
ظَالِمًا . مَفَاتِنُهُ الْوَجَنَاتُ . إِذَا رَمَتْ بِاللَّحْظِ . أَصَابَتْ قَيْصَرًا . وَلَمَّا

استوى الماء . وجاء مَحَارُهُ . قال قائلهم . درسُ السَّباحة . أبدا لا ينتهي .
عليك بالغوص . ألفاً وألفاً . فلستَ بَاهرٍ . ولستَ بصائغٍ . لا يَهْزِمُ
المرءَ إلا لسانُهُ . ونادى المنادي . أيا أيها الطفل . في الدهر . وفي النهر .
ومن جديد . إنك راسبٌ .

رحماك يا أبتى . أوصيتني . وأنسيتُ وصيتكُ . فقد قلتَ يوما .
الحبُّ كالشعر . والشعر من فتنة الألفاظ . والكلمات . إذا تعرَّى سرُّها .
زجاجةٌ تنكسرُ . فالآنَ عرفتُها . والآنَ فاتَ أوانُها . فسأفشي سرَّها .
وأقولُها . لكلِّ طفلٍ باسمٍ . لكلِّ فتىٍ ناظمٍ . لكلِّ كهلٍ ناثرٍ .
سأقولُها . وأقولُ بعدها . رحماك يا أبتى . إنَّ ابنك راسبٌ .

وفي ليلة . من ليالي القَدَرِ . قد دعا لي ملكٌ بدعوة الخير . أنى
جئتَها . فاستجابَ القَدَرُ . فألفَ حمدَ يومها . بلَغْتُ ذُرَى المجدِ قولاً
وفتنةً . وأقسمتُ للشعرِ . لن أنساك يا قَسَمِي . وجئتُ القصيدةَ . ساعياً
ومدبراً . وكان لي في الإيقاعِ مَوجدةٌ . واجتَزتُ في ليلٍ . وبى أملٌ .
اختبارَ الوزن . وتلافيفَ المنى . وأذاعَ الشعرُ عني سرَّهُ . قد خيبَ
الظنُّ . فليس بناجحٍ . فيا أيها الشعرُ الرحيمُ . مغفرةً . وسماحةً . فاقبلُ من
فتى تائه . بوحاً جديداً . يقول . ويهمسُ . سامحوني . فلستُ بشاعرٍ .
ثم هاكُم قولَةً . سرّاً دفيناً . طالما يتكرَّر . سأظلُّ ما حييتُ على الوفاء .
للصورة المثلى . لألف ذكر . سأظلُّ بعد اليوم . كعَبْدٍ . عاشقٍ للضَّادِ .

معشوقه الحرفُ . وهو طائعهُ .

وأقبلتُ على الدرس منتبهاً . طالبا حذق السباحة . مجتهداً .
ومعاوداً . وبي في الفلاح أُمْنِيَّةٌ . أن أبعثَ . إلى عالم الأرواح . برقيَّةً .
أقول فيها . رحماك يا أبتى . فطفلك ناجحٌ . ونزلتُ قاع النهر مجدداً .
أفتشُ في المحار . كاشفاً سرَّ اللَّالِي . فإذا أنا . كسعيد الحظ أمسكها .
جوهرةً . أَلَمَاسَةً . نُورِيَّةً . أداعبُ الأصداف من حولها . وأومئُ لها
باللَّحْظِ . كفارس في الغوص ليس يهابه . إذا بزلزالٍ . يَهْدُ الكونَ . كونَ
لآلِي . ففُتِنْبَلَةٌ قد انفجرتُ . من بقايا الحرب . مزقتُ أوصالَ طفلٍ
حالمٍ . بددتُ أشلاءهُ . وفرقتُ في الشعرِ شَظِيَّةً . فتاهَ الوزنُ .
وضاعَ القلمُ .

هل تُبعثُ الأرواح بعد ضياعها . هل تولدُ الألفاظُ بعد مماتها .
هل تحمِلُ الأرحامُ بعد سُباتها . كيف السَّيْلُ إلى عصا سحرِيَّة . تحوِّلُ
الألفاظَ زَهْرًا . تغيِّرُ الألحانَ مِنْ شَوْمٍ وَمِنْ نَحْسٍ . فيأتي طالعُ اليُمْنِ .
وتأتي البركاتُ . والعَرَّافُ . والتلاواتُ . وعطرُ المَكْرُماتِ . وتهاليلُ
الليلِ . وتساييحُ الضُّحَى . وآيَةُ الكُرْسِيِّ . وسِدْرَةُ المنتهى . والحزبُ
اللَّطِيفُ . والأختامُ أدْعِيَّةٌ . والنَّقَّاتُ في العُقْدِ . راحتُ تَضِيعُ . وزال
الإفكُ . وانبَلَجَتْ . أشعةُ النُّورِ . وعندصياحِ الديكِ . عند السَّحَرِ . صاح
مؤذِّنِي . هذا هو الفجرُ . وبعدَ الفجرِ . صبحٌ جديدٌ .

نَسِخَ

قلتُ مُفَاتِحًا . هل تأذنين لي . أيا لغتي . أن أَخْذَ مِنْكَ إِجَازَةً . وأن
أُبْحَرَ فِي مَحِيطِ الْوَرَاثَةِ . حيثُ الْهَنْدَسَةُ الْجَدِيدَةُ . حتَّى أَتَقَنَّ حَدِيثَ
الْإِسْتِنْسَاحِ . أَنتَقِي مِنْكَ الْحَيَامِلَ . وَالْجَنَاتِ . وَأَتَبِّتُ الْخَلَائِيَا فِي أَنْبَابِ
الْمَحَا بِرَفْسِيَّاتِي عَلَيْكَ . يَوْمَ النِّسْيَانِ . يَوْمَ إِفْتِقَادِ الذَّاكِرَةِ . وَعِنْدَهَا
سَأُبْعَثُ الْمَلَاقِحَ . مِنْ سُبَاتِهَا . وَسَأُفْخُ فِيهَا حَرَارَةً . بِسَاءِ الْجَمَادِ .
رِسَاءً . نَسِخُ مِنْ كَلِمَاتِكَ الْكَلِمَاتِ . وَسَاءُ لَدُنْ صُورِكَ الصُّورِ . فإني
أُخَافُ عَلَيْكَ . بَتُّ أَنَا أُنْخَافُ عَلَيْكَ . مِنْ نَفْسِكَ . أَنَا أَخَافُ عَلَيْكَ . عَلَى
نَفْسِكَ أَنَا وَأَنْتِ نَخَافُ عَلَيْكَ .

قالت .

هناكَ مِنْ بَعِيدٍ . عَلَى فَرَاشِ الذِّكْرِيَّاتِ . بَيْنَ فُحُوصٍ وَكُشُوفٍ .
وَإِسْتَوَى الْبَقَاءُ . وَمَقَادِيرُ الرِّحِيلِ . مَسَكْتُ بِنَفْسِي . فَوَجَدْتُ الْعِزْمَ
حَدِيدًا . فَتَحْتُ نَوَاطِرِي . وَحَدَقْتُ فِي الْوُجُودِ . فَرَأَيْتُ مَسَافَاتٍ
تَقَارَبَتْ . فَاخْتَزَلْتُهَا . وَاعْتَصَرْتُ رَحِيقَهَا . جَمْرَةٌ بَيْنَ نَارَيْنِ . يَوْمَ
نَطَقْتُ . يَوْمَ أَحْبَبْتُ لَغْتِي . يَوْمَ خِلْتُ أَنَّ الْحُبَّ قَدْ وُئِدَ . لَيْلَةً . بُعِثَ

الوليدُ جديداً .

أُجِبْتُ . ثم طَلَبْتُ قَلَمًا . وصَحِيفَةً . ولم يمنعوني . فأنثال لفظٌ . دَمًا
قَرَّاحًا . كأنه الأَسَى . تتقاطر مقلتي . بدأتُ . وماكنتُ أعلمُ أين سأنتهي .
طلبتُ الرحيلَ .

فحضرَ تَنِي .

طلبتُ الشَّهَادَةَ .

فحضرَ تَنِي .

سألتُ نفسي . اليومَ أُحِبُّ الحَيَاةَ . أُحِبُّ سُوالفَ الأزمانِ .
همستُ بِأَسْمًا .

يَا لُغْتِي . يَا أَسِرَهُ . مُسْتَبَدَّ طَيْفُكَ . فِي الرُّكْنِ . فِي الْبَيْتِ . طَيْفُكَ .
على الورقِ وبين السطورِ وفي المحافظِ . طَيْفُكَ . فِي السُّوقِ . وعلى المآذِنِ .
فِي الرُّبَى . وعلى الشوْطَىءِ . يلاحقني . طَيْفُكَ . أُمْسِكِيهِ وَرَوْضِي عِنَادَهُ .
فَالطَّيْفُ طَيْفُكَ . إِذَا غَضِبْتُ . فَهُوَ يَتَسَمُّ . طَيْفُكَ . وَإِذَا انْشَرَحْتُ .
تَقَطَّبَتْ أَهْدَابُهُ . طَيْفُكَ . أُمْسِكِيهِ سَاعَةً . أَوْ بَعْضَ وَقْتٍ . إِنِّي أَسْوِي
أَغْنِيَّةً . وَأَهْدِيكَ لَحْنًا . شَادِيًا . كَلِمَاتُهُ . الطَّيْفُ طَيْفُكَ .
قالت .

هل جلستَ يوماً على الضِّفَافِ بَعْدَ الْغُرُوبِ وَ الْأَضْوَاءِ تُتَسَلَّلُ بَيْنَ
حُجُبِ الظَّلامِ تَخْتَرِقِ الضُّبَابَ لِتَسْتَقَرَّ عَلَى صَفَائِحِ الْمَاءِ وَهِيَ هَادِئَةٌ لَا

يداعبُها إلا هفيفُ النسيمِ ترتعشُ له ارتعاشةَ قلبِ الحبيبِ ينادي
بِخَفَقَانِهِ أَنَا مِلَ الطَّيْفِ الْقَصِيَّ أَنِ ارْسُمْ بِرِيشَةِ الْفَنِّ لَوْحَةَ الْغَزَلِ عَلَى
صَدْرِي فِيهَا الْمَرَاقِبُ تُتَخَالُ عَلَى الْمَاءِ رَاقِصَةً بِشِرَاعِهَا الْأَبْيَضِ الْفَتَّانِ
كَأَنَّهُ ينادي شَاهِقَاتِ الْمَبَانِي :
بوركِتِ يَا لُغْتِي .

هَاءُ السَّكْتِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْمَرْأَةِ
تُقَدِّمُ الْجَسَدَ قُرْبَانًا إِلَى الْحَبِّ
يَصْطَلِي بِنَارِ النَّدَمِ .

أَيْتَهَا اللَّغَةُ . تَمَنِّعِي . أَهْلًا بِكَ . تَمَرَّدِي . اغْرِفِي مِنْ بَحُورِ الزَّهْوِ .
أَهْلًا بِكَ . امْكُرِي . أَمْعِنِي كَيْدًا . غِيْظِنِي وَرَاوِغِي . اطْعِنِي الظَّهْرَ بِنِبَالِ
الشَّعْرِ . فَسِهَامُ اللَّفْظِ حَيْمَةٌ . وَتَفَنَّنِي . اعْزِي عَلَى نَبْضِ الْقُلُوبِ . ثُمَّ
كُونِي . فَاتِنَةً . خَائِنَةً . فَأَهْلًا بِكَ . شَيْئًا وَاحِدًا . لَا تَفْعَلِيهِ . فَلِلدَّلَالَةِ
حُرْمَةٌ . وَلِلْمَدَارِكِ سُلْطَةٌ . لِلْعَقْلِ كَمَا لِلْحَبِّ . جَلَالٌ وَمَهَابَةٌ . لَا
تَتَنَاقِضِي . لَا تَتَرَدَّدِي . لَا تَجَامَلِي مِنْ صَانِعِكَ . قَدْ شَوَّهَوْكَ . حِينَ صَرِثَ
كَدْمِيَّةٌ . تُسَوِّي بِكَ الصِّفَقَاتُ . كَمَا حَدَى اللَّهَجَاتُ . تَدْحَرُجُ مِنْ سَمَاءِ
النُّبْلِ . حَيْثُ وَضَعْتُكَ . تَمَرَّغْتَ فِي الْأَوْحَالِ فِي الطِّينِ الْمُبْلَلِ .
فَتَدَنَسْتَ . أَزْهَارُ تَاجِكَ . لَا تَتَنَاقِضِي . قَسَمًا بِكَ . يَوْمَ كُنْتَ فَصِيحَةً .
نَاصِعَةَ الْبِيَاضِ . مَحْجُوبَةً . قَسَمًا بِالشَّعْرِ . بَايَاتِ النُّهَى . بِالْكَلِمَاتِ . لَوْ

جئت القطيعة ما نَقَمْتُ عليك . خيانة المعنى كَهَجْرَانِ حُبٍّ . قدرة
وشجاعة . وتناقض الأهواء مَذَلَّةٌ ومهانة . لا تتناقضي . بِرَبِّ الشَّعْرِ .
لا تملقي . أساء الأضداد لَعِينَةً . والسُّهَى . حَقْلٌ مِنَ الْأَغَامِ . لا
تتفككي . لا تتمزقي . فلا أَهلاً قَدِمْتُ . لا تتناقضي . ولا سهلاً حَلَلْتُ .
لا تَتَوَرَّطِي . جَسَدُكَ الْمَسْكِينُ . بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . وهبته في الدُّجَى .
هدية مفضوحة . لِلَّيْلِ السَّعِيدِ . وعند الضُّحَى . وهبت الخليل
فُتَاتَهُ . منهوك القوى . فَاتَرَ الْأَشْلَاءَ . قد خَبِتْ أَوْهَاجُهُ . قَدَمْتَهُ . كَبَشَ
الْفِدَاءِ . لَوْجِدَ وَأَهْمِ . كَقَصِيدَةِ الزَّيْفِ . في بَدْءِ اللَّقَاءِ . كَمَادِحِ
السُّلْطَانِ . يَمَجِّدُ الْفُضْحَى . عَلَى مِنْبَرِ الْأَشْعَارِ . وهو مُرَاوِعٌ .
دَيْدُنُهُ التَّلْهِيجُ . بلا خَجَلٍ . يُسَكِّنُ الْحَرَكَاتِ . صَفِيقَ الْحَيَاءِ .
كَغَضَبَةِ الْأَقْدَارِ . على فَلَذَةِ الْأَكْبَادِ .
أَيْتَهَا اللَّغَةُ .

أَيْتَهَا الْفُضْحَى .

لَا تَنْسِيْ وَصِيَّتِي .

تَجُوعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا .

تَفْنَى الْأَبِيَّةُ وَلَا تُضْحِي بِحُبِّهَا .

قافية

ها أني
وفي البدء ما رُمْتُ إلا ترويضَ لساني
قد رَوَّضْتُ قلبي وجناني
ها أنا محبَّ عاشقٌ
ها أنا مفتونٌ بضادي ولساني
إني أشهد أني الأسيرُ
وأسري كلماتي
بحبٍ
قد دخلتُ إليكِ
وبشرفٍ
أودَّعُكَ
فلنَ أعودَ
أيتها القافيةُ، أيتها القصيدةُ، قَسَمًا بالشَّعرِ :
لأنتِ
طالِقٌ
طالِقٌ
طالِقٌ .

المؤلف

الأسلوبية و الأسلوب :

-الدار العربية للكتاب ، تونس ط 1 : 1977 ، ط 2 : 1982 ، ط 3 : 1988

- دار الصباح ، القاهرة - الكويت ، ط 4 : 1993

التفكير اللساني في الحضارة العربية :

-الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 1 : 1981 ، ط 2 : 1986

قراءات مع الشبابي و المتنبّي والجاحظ وابن خلدون

- الشركة التونسية للتوزيع ، ط 1 : 1981 ، ط 2 : 1984 ، ط 3 : 1989

- دار الصباح ، القاهرة - الكويت ، ط 4 : 1993 .

النقد و الحداثة :

- دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 : 1983

- دار أمية ، تونس ، ط 2 : 1989

قاموس اللسانيات (عربي فرنسي - فرنسي عربي) مع مقدمة في علم المصطلح

-الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984

اللسانيات من خلال النصوص

-الدار التونسية للنشر ، ط 1 : 1984 ، ط 2 : 1986

الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية

-الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1985

(بمعية د . محمد الهادي الطرابلسي)

اللسانيات وأسسها المعرفية

-الدار التونسية للنشر ، 1986

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص

-الدار التونسية للنشر ، 1988

(بمعية د. عبد القادر المهيري ود. حمادي صمود)

مراجع اللسانيات

-الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

مراجع النقد الحديث

-الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

قضية البنيوية : دراسة ونماذج

- ط 1 : دار أمية ، تونس ، 1991

- ط 2 : دار الجنوب ، تونس ، 1995

قضايا في العلم اللغوي

-الدار التونسية للنشر ، 1994

مساءلات في الأدب واللغة

-مؤسسة اليهامة ، الرياض ، 1994

المصطلح النقدي

-مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1994

في آليات النقد الأدبي

- دار الجنوب ، تونس ، 1994

أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث

-مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1996

مباحث تأسيسية في اللسانيات

-مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1997

تمّ طبع هذا الكتاب
بمطبعة كوتيب تونس الشرقية
مارس ١٩٩٨